



• مسرحيتان من الأدب النيجيري ١- محنة الأخ جيرو - ٢- تحوّل الأخ جيرو

تأليف: وول سوينكا
ترجمة وتقديم: طارق عبدالرحمن شما
مراجعة: نسيم مجلي



الفنان : أحمد عبدالرضا الصالح
لقد طال الانتظار - كولاژ - ٩٠ x ٦٠ سم
١٩٩٧

مسرحيتان من الأدب النيجيري

١ - محنة الأخ جيرو

٢ - تحول الأخ جيرو

تأليف: وول سوينكا

ترجمة وتقديم: طارق عبدالرحمن شما

مراجعة: نسيم مجلي

سعر النسخة

الكويت ودول الخليج	500 فلس
الدول العربية الأخرى	ما يعادل دولارا أمريكيا
خارج الوطن العربي	دولاران أمريكيان

الاشتراكات

دولة الكويت

للأفراد	10 د.ك
للمؤسسات	20 د.ك

دول الخليج

للأفراد	12 د.ك
للمؤسسات	24 د.ك

الدول العربية الأخرى

للأفراد	25 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	50 دولارا أمريكيا

خارج الوطن العربي

للأفراد	50 دولارا أمريكيا
للمؤسسات	100 دولارا أمريكيا

تسدد الاشتراكات مقدما بحوالة مصرفية باسم
المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب وترسل على
العنوان التالي:

السيد الأمين العام

للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

ص.ب: 28623 - الصفاة - الرمز البريدي 13147

دولة الكويت

ردمك ٨ - ١٤٨ - ٠ - ٩٩٩٠٦
ISBN 99906 - 0 - 148 - 8

إبداعات

لعدد كل شهرين

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

المشرف العام:

بدر سيد عبد الوهاب الرفاعي

هيئة التحرير:

سليمان داوود الحزامي/المستشار

د. زبيدة علي أشكتاني

د. سعاد عبد الوهاب عبد الرحمن

د. سليمان خالد الرياح

د. سليمان علي الشطي

د. ليلى عثمان فضل

د. محمد المنصف الشنوفي

مديرة التحرير

وسمية الولائي

سكرتيرة التحرير

لمياء القبندي

التنفيذ والإخراج والتنفيذ:

وحدة الإنتاج

في المجلس الوطني

للثقافة والفنون والآداب

www.kuwaitculture.org

• مبنة الأخ ييرو

• تحول الأخ ييرو

العنوان الأصلي :

**1- THE TRIALS OF BROTHER
JERO**

2- JERO'S METAMORPHOSIS

BY: WOLE SOYINKA

عن دار النشر

OXFORD UNIVERSITY PRESS

London Oxford New york

1974

الطبعة الأولى - الكويت

المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، 2004م

إبداعات عالمية - العدد 350

صدر العدد الأول في أكتوبر ١٩٦٩م

تحت اسم سلسلة من المسرح العالمي

أسسها أحمد مشاري العدوان

(١٩٢٣ - ١٩٩٠)

مقدمة

وول سوينكا (حياته وأعماله)

كان فوز وول سوينكا بجائزة نوبل للآداب في عام ١٩٨٦ اعترافا بمكانته الرائدة ككاتب أفريقي وعالمي، حيث كان أول أديب أفريقي يفوز بهذه الجائزة، كما جاء ذلك توكيدا لقيم العدل والحرية التي كرس لها قلمه وحياته، وتتويجا لمسيرة أدبية وشخصية حافلة، تميزت بغزارة إبداعية لافتة، فضلا عن الالتزام بقضايا بلده السياسية والاجتماعية بالقول والفعل.

ولد سوينكا في قرية أبيو كوتا في غرب نيجيريا في عام ١٩٣٤، لأسرة عمل كثير من أفرادها في التدريس في مدرسة القرية، ونشأ في بيئة تداخلت فيها مؤثرات قوية من الثقافة الغربية المسيحية، الإنجليزية تحديدا، مع التراث المحلي الغني لقبائل اليوريا التي ينتمي إليها، بمعتقداتها الشعبية وأساطيرها ودياناتها، وهو المزيج الذي سيطبع كل أعماله بطابعه المميز، مما يجعله محورا أساسيا لفهم أعماله ودراستها.

ومكنته دراسته في جامعة إبادان بين عامي ١٩٥٢ و ١٩٥٤ من تعميق اطلاعه على جوانب الثقافة الغربية الفنية منها والفكرية، ومنها فلسفة نيتشه والمسرح اليوناني، الذي سيعود إليه مرة بعد أخرى ليستلهم منه عناصر الحكمة والأسلوب.

كما تجلت في تلك المرحلة الميول التي ستبرز لاحقا في حياة سوينكا وممارسته الأدبية، وأهمها ميله الفطري للتمرد وعداؤه للمؤسسات الحاكمة، وخصوصا الاستبدادية منها، وهي مواقف تمسك بها لاحقا بكل ثبات، رغم ما سببته له من متاعب.

وربما كانت اتجاهاته تلك هي ما جذبته إلى بعض الأساتذة، ممن كانوا يصنفون خارج نطاق كل المؤسسات التقليدية، رغم قدراتهم الأكاديمية الرفيعة، في أثناء دراسته في جامعة ليدز الإنجليزية في أواخر الخمسينيات. ومن هؤلاء ولسون نايت، وهو واحد من كبار الاختصاصيين بأدب شكسبير، والذي تمثل تأثيره في تكوين سوينكا الأدبي في كشفه للصلة الوثيقة بين المسرح والطقوس، تلك التي شكلت ركنا أساسيا في نظرية سوينكا المسرحية. ومن ناحية أخرى، فقد أفاده الناقد المرموق أرنولد كتل، وهو أحد أهم النقاد الماركسيين في ذلك الوقت، في فهم الدور المركزي الذي تلعبه العلاقات الطبقية في التطور الاقتصادي والسياسي، وهو موضوع كثيرا ما يتكرر في أعماله. كما أتاحت لسوينكا في هذه الفترة فرصة تطوير مهاراته الإبداعية والنقدية، حيث كان يكتب الكثير من الأعمال التي بث بعضها من هيئة الإذاعة البريطانية، كما نشر بعضها في مجلات الطلاب الجامعية. وقد أسهمت أعماله الإذاعية، خصوصا، في تأسيس مكانة متميزة له في وطنه الأم ككاتب وناقد واعد.

إلا أن العامل الأهم في تكوين سوينكا في هذه المرحلة هو ارتباطه المباشر بالمشرح، الذي انهمك بهمة واضحة في مختلف نشاطاته من تأليف وتمثيل وإخراج. وبدأت تجربته المسرحية بشكل فعلي في عام ١٩٥٧ حين التحق بالمشرح الملكي في لندن ككاتب وقارئ نصوص، وفي عام ١٩٥٩ عُرضت مسرحيته الاختراع، والتي لم تنشر أبدا، كما عرضت معها مقتطفات من بيت بانيغجي ورقصة الغابات الأفريقية.

وفي عام ١٩٦٠ عاد سوينكا إلى نيجيريا، حيث أسس فرقة مسرحية للهواة باسم «الأقنعة». وفي العام ذاته أخرج مسرحية رقصة الغابات الأفريقية ضمن احتفالات استقلال نيجيريا، وفازت المسرحية بجائزة مجلة Encounter. وفي أوائل الستينيات عمل باحثا في المسرح الأفريقي التقليدي في جامعة إبادان، مما أتاح له الفرصة ليجول في أرجاء نيجيريا طولا وعرضا ليتقصى جذور التراث المسرحي الأفريقي. وقد أفاده ذلك بالطبع في تعميق معرفته بالفولكلور المسرحي، وقدم له موردا غنيا لأعماله الإبداعية ومفاهيمه النظرية. وبعدها أسس فرقة مسرحية أخرى هي «مسرح أوريسون»، كما توالى أعماله المسرحية تأليفا وإخراجا.

وفي أكتوبر من عام ١٩٦٥ دخل سوينكا في غمرة الحياة السياسية المضطربة في البلاد، على نحو مفاجئ وعنيف، حين اتهم بإلقاء بيان إذاعي يدين فيه نتائج الانتخابات التي

جرت وقتها في غرب نيجيريا. وعلى رغم أنه قد ثبتت براءته بعد ذلك، حين تبين أن البيان المذكور قد نسب إليه زورا، إلا أن الاتهام الذي تعرض له لم يأت اعتباطا، وهو الذي سبق له أن ألف وأخرج عرضا سياسيا ساخرا بعنوان «قبل العتمة في لاجوس» في وقت سابق من العام نفسه.

وعادت المتاعب السياسية تلاحق سوينكا من جديد حين نشبت الحرب الأهلية النيجيرية في مايو من عام ١٩٦٧، عندما اعتقل في أغسطس من السنة نفسها من قبل الحكومة العسكرية الاتحادية بتهمة إجراء اتصالات مع الانفصاليين في إقليم بيافرا الشرقي، وذلك بعد فترة وجيزة من فوزه بجائزة جون ويتنج للمسرح، بالاشتراك مع الكاتب الإنجليزي توم ستوبارد، وتعيينه رئيسا لقسم الفنون المسرحية في جامعة إبادان. وكان سوينكا قد اشترك مع غيره من النشطاء السياسيين في الدعوة إلى الامتناع عن تقديم السلاح إلى جانبي الحرب كليهما. وفي أثناء اعتقاله فاز بجائزة «جوك كامبل» للمسرح، كما طبعت بعض مسرحياته وأعماله الشعرية.

وفي أكتوبر من عام ١٩٦٩ أطلق سراح سوينكا ليعود إلى منصبه رئيسا لقسم الدراسات المسرحية في جامعة إبادان، وذلك بعد فترة اعتقال دامت أكثر من سنتين، وهي التجربة التي وصفها لاحقا في كتاب «مات الرجل» ١٩٧٢، الذي منع

في نيجيريا، وفي مجموعة شعرية بعنوان «قصائد من السجن» ١٩٦٩.

وفي عام ١٩٧٢ ترك سوينكا نيجيريا التي كانت خاضعة لحكومة عسكرية ليعيش في منفى اختياري في أوروبا والولايات المتحدة، وعمل بشكل أساسي أستاذا جامعيا في جامعة كامبردج في إنجلترا، كما أشرف في عام ١٩٧٥ على تحرير المجلة الفكرية الأفريقية Transition التي تصدر في غانا. وكتب مسرحية «تحول الأخ جيرو» في تلك الفترة.

بيد أنه عاد إلى وطنه في عام ١٩٧٥، وعين أستاذا في قسم اللغة الإنجليزية في جامعة إيفة. وعلى رغم الضغوط الحكومية فقد تابع سوينكا نشاطه في مجال المسرح السياسي، حيث ركز انتقاده على الفساد الحكومي والآثار السلبية التي جلبتها طفرة النفط على نيجيريا.

وإلى حين حصوله على جائزة نوبل، توزعت نشاطات سوينكا بين التأليف والنقد الأدبي والإخراج المسرحي، حيث أخرج مسرحيات له وكتاب غيره منهم بيراندللو وكالدول، كما عمل بالتدريس الجامعي في غانا والولايات المتحدة وبريطانيا. وفي ١٩٨٣ ألقى محاضرات حول شكسبير في مسقط رأسه في ستراتفورد أبون أفون Stratford Upon Avon. كما أنه شغل في الفترة نفسها منصب رئيس اتحاد كتاب الشعوب الأفريقية وأصدر مجموعة أغان سياسية بعنوان «شركة غير محدودة».

وفي عام ١٩٨٦، حصل سوينكا على أرفع جائزة أدبية على مستوى العالم، مما رسخ مكانته على خريطة الأدب العالمي والأفريقي، وكذلك في بلده الأصلي، حيث حصل على أعلى وسام وطني في البلاد، الأمر الذي فتح المجال لتحقيق نوع من المصالحة بينه وبين السلطات السياسية، خصوصا بعد أن عين في منصب حكومي رفيع.

إلا أن سوينكا عاد ليدخل دوامة السياسة من جديد، بعد أن استولى الجيش بقيادة الجنرال ساني أباشا على الحكم في عام ١٩٩٣، فحل الحكومة المدنية وفرض دكتاتورية عسكرية في البلاد. وفي عام ١٩٩٤ اضطر سوينكا إلى الهرب من نيجيريا ليعيش في المنفى في أوروبا وأمريكا، حيث شارك في حملات ضد الحكومة العسكرية في نيجيريا، والتي أصدرت عليه حكما غيابيا بالإعدام في عام ١٩٩٧. وبعدها عمل أستاذا زائرا في جامعتي هارفارد وإموري الأمريكيتين.

وفي عام ١٩٩٨ توفي أباشا وحل محله الجنرال عبدالسلام أبو بكر، فعاد سوينكا إلى نيجيريا ثانية بعد أن ألغيت تهمة الإعدام الصادرة بحقه.

وفي معرض تقييم أعمال سوينكا ومكانته في الأدب الأفريقي خصوصا، قد يكون من المفيد مقارنته بنظرائه من الأدباء الأفارقة في نيجيريا وخارجها. فمن الواضح مثلا أنه لا يلتزم بالواقعية التوثيقية التاريخية التي يمارسها مواطنه

شينوا أشيي، وخصوصا في روايته «الأشياء تتداعى»، التي كانت من أوائل الأعمال التي قدمت الأدب الأفريقي إلى العالم. ومن ناحية أخرى، فإننا لا نجد في أعماله انشغالا مباشرا بقضايا الصراع الطبقي بذلك الأسلوب الثوري المطلق الذي نجده لدى كثير من أدباء أفريقيا والعالم الثالث من ذوي الالتزام السياسي، والماركسي خصوصا.

ومن الناحية السياسية، يبقى سوينكا ديموقراطيا ليبراليا مع ميول ماركسية ثورية عميقة، مما يجعله عصيا على التصنيفات الجاهزة، إلا أنه يظل قبل كل شيء آخر «مناضلا في سبيل حقوق الإنسان وخصما لدودا لكل أشكال الدكتاتورية، بما فيها الأصولية الدينية»^(١)، وهو ما نجده بشكل ظاهر في المسرحيتين. إلا أن التزامه بهذه القضايا، على أهميتها وخطورتها، لم يؤثر في ميله إلى الكوميديا والهجاء الساخر، وإن كان مريرا أحيانا، مما «قد يجعل منه أستاذ الكوميديا دون منازع في القارة الأفريقية»^(٢). وتذكر هجائياته على وجه الخصوص بالكاتبين البريطانيين جوناثان سويفت وألكسندر بوب، اللذين يعترف بتأثيرهما الكبير في أعماله.

Msiska, p. 5 (١)

Ibid, p.4 (٢)

المسرحيتان

تنتمي المسرحيتان: «محنة الأخ جيرو» و«تحويل الأخ جيرو»، إلى هذا النوع الأخير من أعمال سوينكا، أي الهجاء الساخر، الذي يهاجم فيه كعاداته الاستبداد السياسي، وسوء استخدام السلطة. وتروي المسرحيتان، بأسلوب كوميدي ساخر، قصة جيرو بم العراف المزعوم، وصعوده من دجال محلي صغير يكسب رزقه من الاتجار بالدين واستغلال جهل البسطاء، إلى أحد الأبواق الدعائية للنظام العسكري الذي يستولي على حكم البلاد.

وإذا كان الإطار الزماني والمكاني للعمل هو نيجيريا في الستينيات، فإن أنماط الشخصيات والنماذج الاجتماعية التي يعرضها والقضايا التي يتناولها، من فساد إداري وتخلف اجتماعي، وكذلك هشاشة الأنظمة السياسية وغربتها عن واقع الشعب، أوقمها لمظاهر الحياة السياسية، جميعها مشاكل لها مثيلاتها في كثير من بلدان العالم الثالث. كما أنه ليس من الصعب تبين أوجه الشبه الكبيرة بين التحولات السياسية التي تشهدها المسرحيتان، وما يقابلها في معظم الدول النامية. فما أن تحررت هذه البلدان من ربة الاحتلال الأجنبي حتى عمد قاداتها الوطنيون إلى إقامة أنظمة برلمانية حزبية على النمط

الغربي الذي جاء به الاستعمار الأوروبي، ولكن لما كانت هذه المؤسسات المستوردة تفتقر إلى أسس اجتماعية راسخة، لأنها لم تأت نتيجة تطور تاريخي طويل، كما حدث في الغرب، فإنها سرعان ما انهارت تحت ضربات الجيش، الذي يشكل القوة المنظمة الوحيدة القادرة على ملء الفراغ السياسي في المجتمع، لتحل محلها أنظمة دكتاتورية عسكرية.

وليس جيرو إلا نموذجا غير نادر أبدا للانتهازي الذي يبيع نفسه لمن يدفع الثمن، ويتواطأ مع الأنظمة القمعية لتحقيق مطامعه الشخصية، ولو كان ذلك على حساب تكريس الفقر والتخلف لدى غيره من المواطنين. إذ يتمكن هذا الكاهن الزائف بكل دهاء من التأقلم مع التقلبات السياسية المتلاحقة في البلاد، ويقوم بتكييف مبادئه الدينية ليصبح جزءا من النظام الحاكم أيا كان نوعه، فيحتال في المسرحية الأولى على أحد رجال البرلمان؛ مستفيدا من سذاجته وطمعه في الحصول على منصب وزاري بأي ثمن، وفي المسرحية الثانية يستغل حاجة النظام العسكري إلى سند شعبي ليقدم نفسه غطاء دعائيا تبريريا لسياساته. والحقيقة أن المسرحية الأولى، وهي واحدة من أوليات مسرحيات سوينكا، إذ كتبت على الأغلب قبل استقلال نيجيريا في عام ١٩٦٠، يمكن اعتبارها أشبه بنبوءة بالأحداث السياسية التي رافقت الاستقلال وتبعته. فصراع جيرو للاستيلاء على رقعة من

الشاطئ لا يختلف كثيرا عن النزاعات التي نشبت بين
الساسة الوطنيين من أجل الحصول على «قطعة من الكعكة».
كما نجد أمثلة لطمع السياسيين في أحد رعية جيرو، والذي
يحلم بأن يكون رئيس وزراء دولة «الشمال الشرقي الأوسط»،
التي لم تؤسس بعد، وكذلك في عضو البرلمان الذي يرى في
جيرو فرصته للحصول على منصب وزاري، بل إن جيرو نفسه
يمكن اعتباره نموذجا ساخرا لرجل السياسة، الذي يدرك أن
الأسلوب وجاذبية المظهر يلعبان دورا حاسما في تحقيق
طموحاته، ولهذا يحاول أن يقدم صورة جذابة لنفسه عن
طريق القبعة والشلحة المخملية. أما اللقب الذي يصطنعه
لنفسه «جيرو النقي، بطل الحملة الصليبية المفوه»، فلا
يختلف كثيرا عن الألقاب الرنانة الفارغة التي كان
يستخدمها بعض السياسيين^(٣).

كما نجد مثالا آخر للهجاء السياسي في خطاب شومة
المشوش، الذي يرتجله حين يضطر للحلول محل الأخ جيرو
في القداس، والذي يذكر بشكل تهكمي بالخطابات السياسية
الشعبية التي تعد الجميع بينابيع اللبن والعسل.

ومن الناحية الفنية، وخصوصا فيما يتعلق بالتقنيات
المسرحية في هذين العاملين وبالشخصية الرئيسية فيهما،
استفاد سوينكا كثيرا من التراث المسرحي الشعبي، ومن

Gibbs, p. 84 (٣)

الأساطير القبلية المحلية في نيجيريا. ويتبدى ذلك بشكل أساسي في شخصية جيرو نفسها التي تتشابه مع شخصية المحتال الشائعة في كثير من القصص الشعبية في غرب أفريقيا خصوصا. ويمثل المحتال بمعنى من المعاني بطلا شعبيا تعود نجاحاته إلى المكر والدهاء أكثر منها إلى الجد والعمل. ولعل هذا ما يفسر سعي جيرو الدائم إلى كسب تعاطف المشاهدين وتحقيق تواصل معهم؛ إذ يفتح العراف المسرحية الأولى وهو يخاطبنا بشكل مباشر ويحدثنا عن نفسه، كما تبدأ ثلاثة من المشاهد الخمسة في المسرحية بالطريقة ذاتها. ويفعل جيرو الشيء نفسه قرب نهاية المسرحية الأولى، حين يعلن للجمهور ما ينوي فعله بشومة. وتنتهي المسرحية الثانية أيضا بشكل مشابه، إذ يتحدث جيرو إلى المشاهدين ويشركهم في انتصاره. وهكذا، يفضي المحتال إلى الجمهور بأسراره والخطط التي ينوي تنفيذها، مما يخلق علاقة وثيقة بينه وبينهم، ويجعلهم شركاء له بمعنى من المعاني.

واللافت للنظر أن صفات المحتال تلك تجد انعكاسا لها في الأساطير الخاصة بالديانات القبلية المحلية. فإذا نظرنا إلى تراث اليوريا النيجيري وجدنا علاقة وثيقة بين شخصية جيرو والإله إيشو إيليوبا. فكلاهما يمثلان بشكل من الأشكال وسيطين بين السماء، والبشر، إلا أنهما في الوقت

ذاته مستقلان بإرادتهما ولا يخضعان لأحد. وليس من قبيل المصادفة أن يعتمد العراف في خداع الآخرين، وبدرجة أساسية، على بلاغته وذلاقة لسانه، لأن الرب إيشو هو الناطق باسم الآلهة. بل إن التشابه بين جيرو والإله الأسطوري يتجاوز الصفات الشخصية إلى المظهر والصفات الخلقية، فلباس جيرو وهيئته، خصوصا في ظهوره الأول في محنة الأخ جيرو، يمثلان «تجسيدا حقيقيا لإيشو»^(٤). فشعره «الغزير والطويل» يذكر بالرب الذي يصور دائما بشعر طويل، كما أن «عصا الكهانة» الخاصة به تتشابه مع الهراوة التي يحملها إيشو، والتي ترمز للقوة عموما، وللقوة الجنسية على وجه الخصوص، وهذا بدوره يعود بنا إلى ما يصف به جيرو نفسه من وسامة ويانجذابه إلى النساء وانجذابهن إليه، وعلاقته بريبيكا دليل واضح على ذلك.

ملاحظات حول الترجمة

وتبقى بعض الملاحظات الأساسية بخصوص الترجمة العربية. فالمسرحيتان مليئتان بالإشارات إلى الكتاب المقدس، العهد القديم في المسرحية الأولى، وخصوصا سفر الملوك، والعهد الجديد في الثانية. وهذا أمر متوقع بالنظر إلى أنهما ترويان قصة دجال يستغل الدين لمآربه الشخصية، إلا أنه قد

(٤) Ibid, p.80

يخلق مشاكل عديدة لدى المتلقي في السياق الثقافي للغة العربية، حيث لا يمارس الكتاب المقدس الدرجة نفسها من الحضور والتأثير، ولذلك، لا يمكن أن نتوقع من القارئ - أو المشاهد العادي - أن يكون مطلعاً على تفاصيل الكتاب المقدس، ونجد أوضح الأمثلة على ذلك في الصفة التي ينتحلها جيرو لنفسه. فكلمة prophet عادة ما تترجم إلى نبي، وهذه هي الصفة التي تستخدم للرسول (صلى الله عليه وسلم). إلا أن دلالة هذه الكلمة في الكتاب المقدس أكثر عمومية بكثير منها في القرآن الكريم، ففي العهد القديم، سفر الأنبياء مثلاً، فإن كل من يتنبأ بنبوءة مهما كانت يسمى نبياً، أما في المفهوم الإسلامي، فتعبير نبي يقتصر على الأنبياء الذين يتلقون وحياً إلهياً، وعددهم محدود طبعاً. ولذلك، فإن تعبير «النبي جيرو» سيبدو غريباً بالنسبة إلى معظم المتلقين، وسيفهم منه أنه يدعي النبوة... إلخ. ولذلك، فضلنا استخدام تعبير «العراف»، رغم أنه لا يحمل الدرجة نفسها من القداسة. ويصدق ذلك بدرجة أقل على بعض أسماء الشخصيات التي تشير بشكل رمزي إلى شخصيات دينية، والتي فضلنا الإبقاء على أصلها الإنجليزي بدلاً من استخدام مقابلاتها العربية، كما ترد في الكتاب المقدس، وهكذا مثلاً استخدمنا «جيروم» بدلاً من «يربعام». ذلك أن هذه الأسماء المعربة كانت ستبدو نافرة عن سياقها الأجنبي،

وخصوصا بالمقارنة مع باقي أسماء العلم في المسرحيتين، الغربية منها والأفريقية، كما أن دالاتها ستفوت القراء والمشاهدين الذين لم يطلعوا على الكتاب المقدس بشكل مباشر. هذا طبعا إذا استثنينا الأسماء الشهيرة والمعروفة في الأديان السماوية جميعها، مثل موسى وإبراهيم. وينطبق ذلك على المقتطفات والإشارات إلى الكتاب المقدس الشائعة والمعروفة في الثقافة العربية (مثل «أعط ما لقيصر لقيصر»... إلخ)، فقد أغفلنا توثيقها لأنها معروفة للأغلبية من القراء. وعدا ذلك، فقد أبقينا على الأسماء والتعابير التي لا غنى عنها لفهم النص مثل «إيزابل» و«يوشع» مع تقديم التوضيحات المناسبة.

ومن ناحية أخرى، هناك مشكلة تفاوت المستويات اللغوية بين الفصحى والعامية، الأمر الذي يمثل مشكلة معروفة في الترجمة إلى العربية نظرا إلى تعدد اللهجات العامية. ويظهر ذلك في حالة شومة تحديدا، وهو الشخص البسيط المحدود التعليم، الذي يتحول إلى لهجة إنجليزية عامية هجينة في حالة الاضطراب أو الانفعال الشديد، وهذا عامل أساسي طبعا في فهم الشخصيات والأحداث ولا يمكن تجاهله في الترجمة.

وفي محاولة لنقل هذه الفوارق راعيت نقل العامية الإنجليزية إلى عربية متخففة من قواعد النحو والإعراب مع

استخدام ألفاظ عامية شائعة ومفهومة بصفة عامة في اللهجات العربية. ولا بد، بطبيعة الحال، من الاعتراف بأن هذا الحل ينطوي على شيء من الافتعال، إذ لا يوجد من يتحدث بهذه الطريقة، إلا أن هذا يبدو الأسلوب الوحيد لخلق مستويات لغوية متعددة في النص دون استخدام لهجة محددة. وعلى كل حال، يمكن عند إخراج المسرحيتين في بلد معين اللجوء إلى لهجة عامية معروفة فيه تكون مفهومة للجمهور وتتباين مع اللهجة الفصحى لباقي الشخصيات، وخصوصا جيرو.

ونشير أخيرا إلى أن الملاحظات على المسرحيتين هي للمترجم، عدا الملاحظة الأولى في كل مسرحية، فهما للمؤلف.

طارق عبدالرحمن شما

مراجع

Gibbs, James (ed), Critical Perspectives on Wole Soyinka (Washington, D.C: Three Continents Press, 1980).

- and Bernth Linfors, Research on Wole Soyinka (Trenton, NJ: Africa World Press, 1993).

Jones, Eldred Dorosimi, The Writing of Wole Soyinka (London: James Currey and Heinemann, 1973).

Msiska, Mpalive - Hangson, Wole Soyinka (Plymouth: Northcote House Publishers Ltd, Wright, Derek, Wole Soyinka Revisited (New York; Twyne, 1993).

(١) محنة الأخ جيرو

المشهد الأول

الشخصيات

جيروبيم: عراف من عرافي الشاطئ

العراف العجوز: أستاذه

شومة: مساعد جيروبيم

أموبة: زوجة شومة

تاجرة

عضو برلمان

تائية

جيران

مصلون

امراة غاضبة

فتاة شابة

الخشبة مظلمة تماما . تضيء بقعة من الضوء فيظهر فيها العراف، وهو رجل ذو لحية كثيفة إنما مرتبة، وشعره مصفف بعناية خلافا لمعظم العرافين. إنه رجل لطيف، وهذا أفضل وصف ينطبق عليه. في يده كيس من الخيش وعصا الكهانة^(١). يتحدث إلى الجمهور بترفع هو عادة لديه.

جيروبيم:

أنا عراف. عراف، فطرة وميولا. ربما شاهدتم الكثيرين منا في الشوارع، كثيرين في كنائس خاصة بهم، كثيرين في الداخل، كثيرين يقودون مواكب، وكثيرين يبحثون عن مواكب يقودونها، كثيرين يبرئون الصم، وكثيرين يحيون الموتى. وفي الحقيقة الناس درجات، وهذا ينطبق على العرافين. أظن أن والديّ وجدا أنني ولدت بشعر طويل وغزير، حتى ليقال إنه كان يصل إلى عيني وينسدل حتى رقبتني، وقد وجدا في ذلك إشارة إلى أنني ولدت عرافا بالفطرة.

وحيث كبرت أحببت هذه المهنة التي كانت تحظى بأكبر احترام فيما مضى، حين كانت المنافسة فيها شريفة. أما في السنوات القليلة الماضية، فقد أصبح الشاطئ يعج بكل من هب ودب، وبسبب الصراع على الأرض صارت مهنتنا

سخرية للساخرين. هناك عرافون أعرفهم
بالاسم ممن حصلوا على الأراضي التي في
حوزتهم حالياً، بأن جعلوا التائبات يهززن
صدورهن في نشوة روحية. وهذا ما أغضب
أعضاء المجلس البلدي، فجاءوا لتقسيم أرض
الشاطئ بيننا.

نعم. لقد وصل الأمر حدا تعين معه على
المجلس البلدي التدخل لوضع حد للحرب
الإقليمية بين العرافين. أما معلمي الذي
تعلمت أصول المهنة على يديه، فتمسك
بمطالبه وفاز بقطعة من الأرض. ومن جانبي
ساعدته بحملة تقودها ست راقصات من
المنطقة الفرنسية في لباس شهود يهوه^(٢). إلا
أن ما غاب عن معلمي هو أنني في واقع الأمر
كنت أساعد نفسي.

ولتعلموا أن الشاطئ في هذه الأيام لا
يستحق عناء الحصول عليه. فلقد تناقص
المصلون إلى قلة قليلة، وبات علينا أن
نقاتل للفوز بأي أتباع جدد. فجميعهم
يفضلون موسيقى الهاي لايف^(٣) على
أنغام التراتيل الدينية، كما أن التلفزيون
يبقي رعاتنا الأغنياء في منازلهم، وقد كان
من عاداتهم الحضور في المساء حين

لا يراهم أحد. أما الآن فهم يلزمون
منازلهم لمشاهدة التلفزيون.

غير أن كل غرضي من القدوم إلى هذا
المكان هو أن أريكم يوما حافلا نوعا ما من أيام
حياتي، يوما ظننت فيه لبرهة أن لعنة معلمي
العجوز سوف تتحقق. وقد أربكني ذلك إلى حد
ما، ولكن... الرب حفظني.

(يدخل المعلم العجوز وهو يلوح بقبضته)

أيها الوغد الجاحد! أهكذا تكافئني على
ما قضيت من سنين في تدريبك؟ أهكذا
تخرجني أنا أستاذك العجوز من أرضي،
وتقول لي إنني قد عشت أكثر من اللازم؟
ألا فلتجازَ بمثل ما جازيتني به! وليدر
الزمان دورته فتلفي نفسك عاجزا كما
جعلتني.

العراف العجوز:

(يواصل كيل اللغات بصوت غير مسموع)

(متجاهلا إياه) إنه لا يحرك في ساكنا.

جيرويم:

فهذا العجوز الخرف قد صورت له حماقته
أنني ما نظمت الحملة للحصول على الأرض
ودخلت المنافسة مع (يعد على أصابعه) -
إخوان يهوه، والسرافيم والكراييم^(٤)، وأخوات
يوم القيامة، وكابوي السماء، ناهيك بـ شهود
يهوه الذين قلدهم الفتيات الفرنسيات -

حسن. لا بد أنه ظن بغروره أنني فعلت كل ذلك
من أجله.

العراف العجوز: أيها المسخ! أيها الكافر بالجميل! ألعنك لعنة
بنات الشقاق! ألا فليلقين بك إلى الهلاك،
ولتجر عليك بنت حواء الخراب.

(يخرج العراف العجوز وهو يلوح بقبضته)

جيروبيم: يا لها من لعنة رخيصة! فمعلمي يعلم تمام
العلم أن لدي نقطة ضعف واحدة، وهي النساء.
ولتعلموا أن الذنب في ذلك ليس ذنبي، إذ لا
يمكنكم إنكار أنني على قدر لا بأس به من
الوسامة... لا، لا تسيئوا فهمي، فلست مغرورا
على الإطلاق. إلا أنني قد قررت أن ألزم جانب
الحذر، فمهنة العرافة تجري في دمي ولن
أجعلها رهنا بتقلبات النساء، ولهذا فقد
حرصت على الابتعاد عنهن. ومنذ أن بلغت
الرشد لم يتلخظ اسمي بأي فضيحة. ثم جاء
اليوم الأسود الذي استيقظت في صباحه
فكانت بنت حواء أول من رأيت. ولكن أن
تقارنوا ذلك بشعور من يستيقظ ذات صباح
ليجد عقابا جاثما على قائم سريره.

عتمة

المشهد الثاني

الصباح الباكر.

بعض الصواري والشباك وغيرها من
النفايات، مما يدل على وجود قرية صيادين.
أسفل الخشبة، يمينا، نرى زاوية كوخ ذي
نافذة في جانب وباب في جانب آخر.

يسمع جرس دراجة، وبعد عدة ثوان تظهر
الدراجة نفسها وهي تتجه نحو الكوخ. سائق
الدراجة رجل يميل إلى القصر حتى لا تكاد
رجلاه تمان الدواستين، وأمامه تجلس امرأة
على قضيب الدراجة، الذي لفت حوله حصيرة،
وعلى حامل الدراجة الخلفي كيس سفر كبير
يتدلى من جانبه كرسي المرأة المنزلي.

قف هنا. قف هنا، هذا هو بيته.

أمـوبة:

(يدوس الرجل على الفرامل بشكل مفاجئ
فيميل الوزن إلى جانب المرأة التي تسند الدراجة
بقدمها وهي تتمايل قليلا. الحقيقة أن نزولها عن
الدراجة بهذه الطريقة ليس أسوأ من أي نزول
عادي، إلا أن فيه ما يكفي لإثارة إحساسها بالظلم).

(لهجة الشهيدة التي تستخدمها طبيعية
وعفوية بحكم العادة): أظن أننا جميعا نفعل ما

أمـوبة:

في وسعنا، إلا أنني ظننت أنك بعد كل هذا
العمر، ستكون أكثر رفقا بي.

شومة: ولكنك لم تنبهيني تنبيهها كافيا فاضطرت
للفرملة بشكل مفاجئ.

أمّوية: ما أكثر ما تشتكي! من يسمعك يظن أن كاحلك

أنت هو الذي انكسر (وقد أخذت تعرج في مشيتها).
كسر؟ هل سمعتني أذممر؟ لقد فعلت ما بوسعك.

أمّوية: ولكن إذا انكسرت أصابع قدمي لمجرد أنني
قفزت فوق دراجتك مثل القروود فعليك أن
تعترف بقسوة الحياة بالنسبة إلى المرأة.
لقد فعلت ما ...

شومة: نعم، لقد فعلت ما بوسعك، أعلم هذا وأقر

أمّوية: به. أرجوك... أعطني هذا المقعد... أنت تعلم

أني لست ممن يضحمون الأمور، ولكنني لست
على ما يرام، وأنت خير من يعلم ذلك. شكرا
(تأخذ المقعد)... لست على ما يرام، هذا هو
كل ما في الأمر، وإلا لما كنت قلت شيئا.

(تجلس قرب باب الكوخ وهي تتنهد بعمق
وتأخذ في تضميد قدميها).

شومة: هل أضمدها لك؟

أمّوية: لا، لا. لا حاجة إلى ذلك.

(يتردد شومة ثم يبدأ بإنزال الصرة)

شومة: هل أنت متأكدة أنك لا تريدني أن

أعود بك؟ إذا ما تورمت قدمك بعد
ذهابي.

أمـوـبـة:

أستطيع العناية بنفسي. فكثيرا ما
اعتنيت بنفسي وبك أيضا. ما عليك إلا
مساعدي بإنزال الحاجيات ووضعها عند
الجدار... أنت تعلم أنه لولا ما أصاب كاحلي
لما طلبت منك هذا.

(بعد أن وضع شومة الكيس بجوارها ظنا
منه أن هذا هو كل ما في الأمر، يعود الآن لفك
الصرة فيخرج منها مجمرة صغيرة، ملفوفة
بغطاء محكم من الورق، وقدرين من قدور
الطهو الصغيرة).

أمـوـبـة:

لقد تفاديت تسرب الحساء، أليس كذلك؟
(مظهرا شيئا من الحنق): هل ترين زيتا
على الغلاف؟ (يرمي الغلاف أرضا).

شـوـمـة:

ولم لا تشتمني؟ هيا، اشتمني! وكل ما
فعلته أن سألتك إذا كان الحساء قد تسرب،
ولا أظن هذا سؤالا لم يسأله أحد من قبل.
لولا كاحلي لفعلت كل شيء بنفسي. من
يسمعك يظن أن الذنب ذنبي... احترس
احترس، قلت لك! لقد كادت الفلينة تخرج من
القنينة. أنت تعلم صعوبة الحصول على ماء
نظيف في هذا المكان.

أمـوـبـة:

(ينزل شومة عن الدراجة قنيتين مليئتين بالماء، ورزمتين صغيرتين ملفوفتين بالورق، وأخرى مشدودة بأنشطة، وعلبة ثقاب، وقطعة من البطاطا الحلوة، وعلبتين من القصدير، إحداهما من نوع أفالتاين^(٥) فيما يبدو، إلا أنها تحوي مادة أخرى بالطبع، وملعقة صغيرة من النوع القابل للكسر وسكيناً، هذا بينما تواصل أموبة، دون كلل، مونولوجها الذي تلقيه دون اكتراث تقريباً).

أموبة: أتوسل إليك أن تحرص على هذا البرطمان...
اعلم أنك لم تكن ترغب أن تأتي بي، ولكن هذا ليس ذنب البرطمان، أليس كذلك؟
شومة: من قال إنني لا أرغب في المجيء بك إلى هنا؟

أموبة: قلت إن المسافة أطول من أن تقطعها على الدراجة... أظنك كنت تريدني أن آتي ماشية.
شومة: أنا؟

أموبة: وبعد أن كسرت قدمي سألتني إذا كنت أريد العودة إلى المنزل. لقد أسعدك ما حل بي.. ولولا أنني لست ممن يسيئون الظن بأي إنسان، حتى لو كنت أنت، لقلت إنك فعلتها متعمداً.

(ينتهي إنزال حاجياتها فينفض شومة الكيس).

أمـوبة:

دع هذا الكيس هنا بالله عليك. فقد
أستعمله وسادة لي.

شـومة:

هل تريدن شيئاً آخر قبل أن أذهب؟

أمـوبة:

لقد نسيت تلك الحصيرة. اعلم أنها ليست
شيئاً يذكر، ولكنني أحتاج إلى شيء أنام عليه.
طبعاً هناك نساء ينمن في أسرة، ولكنني لا
أتذمر. فقد حالفهن الحظ في أزواجهن،
والحظ لا يحالف جميع الناس فيما أظن.

شـومة:

ولكن لديك سرير في المنزل.

(يفك الحصيرة الملفوفة حول قضيب
الدراجة العرضي).

أمـوبة:

إذن يجب أن أهمل عملي. يجب أن تكسد
تجارتني إذا كان لدي سرير في المنزل. أحمد
الله على أنني لست من النساء اللواتي...

شـومة:

أكاد أتأخر عن عملي.

أمـوبة:

أعلم أنك تتشوق إلى الذهاب، وما عملك إلا
ذريعة تتذرع بها. ويا له من عمل: حاجب أول
في أحد مكاتب الحكومة المحلية، لقد أصبح
زملاء دراستك وزراء يركبون سيارات ضخمة.

(يركب شومة دراجته ويلوذ بالفرار، فتلاحقه
أموبة بصياحها، مديرة رقبتها في اتجاهه).

أمـوبة:

لا تتسّ أن تحضر مزيداً من الماء حين ترجع
من عملك (تعود إلى وضعيتها السابقة وتتنهد

بعمق). إنه لا يدرك أنني أفعل كل هذا من أجله. فهو ليس أسوأ من غيره من الرجال، غير أنه لا يبذل أي جهد لتكون له قيمة في الحياة. حاجب أول! هل أذهب إلى قبري زوجة حاجب أول؟

(إنها جالسة بحيث لا يراها العراف على الفور عندما يفتح النافذة لاستنشاق بعض الهواء النقي. يحدق العراف إلى الخارج لبضع لحظات، ثم يسترخي ويهم بالذهاب فيرى ظهر أموبة ويميل إلى الخارج محاولاً رؤيتها بالكامل، فيستحيل عليه ذلك. وعندها يترك النافذة وقد تملكته الحيرة ويتجه إلى الباب الذي نراه وهو ينفث بمقدار قدم واحدة ثم ينقلب بسرعة. هذا بينما أموبة تمضغ قطعة من الكولا بهدوء. وحين ينقلب الباب تخرج قلما ودفترا وتدقق في بعض الحسابات.

ويعود الأخ جيروم، الذي تعرفه رعيته باسم الأخ جيرو، فيظهر على النافذة ومعه هذه المرة كيس الخيش وعصا الكهانة. ينزل الكيس على الأرض، ثم يرفع إحدى رجليه فوق النافذة).

أموبة: (دون أن تنظر إلى الوراء): أين تظن نفسك ذاهباً؟

(يعود الأخ جيرو إلى المنزل وهو يكاد يقذف نفسه قذفا)

أمـوـبـة: جنيـه وثمانية شلنات وتسعة بنسات لي ثلاثة أشهر عند هذا الذي يدعو نفسه رجلا من رجال الله!

(تتحي المفكرة جانبا وتضك الغلاف عن المجرمة وتشرع في إيقادها تمهيدا لإعداد الفطور. ينفتح الباب ثانية بمقدار قدم أخرى).
(يتتحنح): أختاه! يا أختي في الله.

جـيـرو:

أمـوـبـة:

آمل أنك نمت جيدا يا أخ جيرو.
نعم، والحمد لله! أنا... آمل أنك لم تأت للوقوف في طريق المسيح وعمله.

جـيـرو:

هذا إذا لم يقف هو في طريقي وطريق عملي.

أمـوـبـة:

احذري الكبرياء يا أختاه! ولا تتطقي بالإثم! اسمع أيها المدين الملتحي! أنت مدين لي بجنيـه وثمانية شلنات وتسعة بنسات؛ ولقد وعدتني بالدفع منذ ثلاثة أشهر، ولكنك انشغلت طبعاً بالقيام بعمل الله. حسنا! فلتعلم أنك لن تغادر هذا المكان قبل أن تقوم ببعض من عملي أنا.

جـيـرو:

أمـوـبـة:

ولكن النقود ليست في المنزل، ولا بد أن آتي بها من مكتب البريد حتى أدفع لك.

جـيـرو:

- أمـوـبـة: (وهي تهويّ الجمرة): فكر بطريقة أخرى
للاحتيال علي.
- البائعة: (يفلق الأخ جيرو الباب).
- أمـوـبـة: تمر بائعة على رأسها إناء كبير من اليقطين.
هيه! ماذا تبيعين؟
- أمـوـبـة: (تتردد البائعة ثم تقرر مواصلة سيرها)
أنت! ألم أنادك؟ ما الذي تحملينه على
رأسك؟
- البائعة: (تتوقف دون أن تلتفت): هل تشتري للتجارة
أم لاستعمالك الخاص؟
- أمـوـبـة: أخبريني أولا ماذا تبيعين.
- البائعة: سمكا مدخنا.
- أمـوـبـة: لا بأس! فلنر!
- البائعة: (تتردد): حسنا! ساعديني في إنزالها. غير
أنني في العادة لا أتوقف على الطريق.
- أمـوـبـة: ألسـت ذاهبة إلى السوق طلبا للمال؟ أولن
أدفع لك مالا أيضا؟
- البائعة: (بينما تنهض أموبة وتنزل عنها حملها):
حسنا! ولكن تذكرني أننا ما نزال في الصباح
الباكر، فلا تفسدي نهاري من أوله بالمساومة.
- أمـوـبـة: حسنا، حسنا! (تنظر إلى السمك). كم سعر
الدستة؟
- البائعة: جنيه وثلاثة شلنات. لا تنقص بنسا واحدا.

أمـوـبـة:

البائعة:

أمـوـبـة:

البائعة:

أمـوـبـة:

البائعة:

أمـوـبـة:

البائعة:

أمـوـبـة:

من سمك الأسبوع الماضي، أليس كذلك؟
لقد سبق أن قلت لك، أنت أول زبائني، فلا
تفسدي علي تجارتي بصباح مشؤوم.

(تمسك سمكة وتقربها من أنفها): حسنا!
ولكن رائحتها كريهة قليلا، أليس كذلك؟
(تعيد وضع الأغذية): ربما لأنك لم
تستحمي منذ أسبوع.

ماذا؟ حسنا! اشتميني، هيا اشتميني! وكل
ما أردته بضعة أسماك من أسماكك العفنة.
هذا جزاء مراعاتي لجوار حولاء حقيرة مثلك.
أيتها المتسولة.

ما زلنا في أول الصباح، ولن أرد عليك
فأفسد نهاري بلسانك القذر. فأبعدي أصابعك
الملعونة عن بضاعتي ولا تفتحي عليك باب
جهنم!

(ترفع الحمل إلى رأسها بمفردها).

هيا احملي عبء جرائمك وأغربي عن
وجهي بأسمالك البالية.

أدعك لمعدتك المنتفخة أيتها العاقر
الشريرة. لا أراك الله خيرا في حياتك.

أنت تلعينني الآن، أليس كذلك؟
(تهب واقفة في الوقت الذي ترى فيه الأخ
جيرو وهو يفر من خلال النافذة).

النجدة! لص! لص! أيها الوغد الملتحي،
أتسمي نفسك عرافاً؟ ولكنك ستجد الخروج
أسهل من الدخول. ستري ذلك، وإلا فلن يكون
اسمي أموية.

(تتحول نحو البائعة التي سبق وغادرت المكان).
أترين ما فعلته أيتها الضفدعة الطويلة
الرجلين؟ يا تاجرة المسروقات! انتظري حتى
يقبض عليك رجال الشرطة.

(قرب نهاية هذا الحديث يسمع صوت
طبول من النوع المسمى بالجانبان صادرا من
الجانب المقابل للكوخ. يدخل صبي يحمل طبلا
على كل كتف من كتفيه ويمشي نحوها وهو
يدق على طبليته فتستدير على الفور).

أموية: أغرب عن وجهي أيها الشحاذ القذر! هل
تظن نقودي لأمثالك؟

(يلوذ الصبي بالفرار، ثم يستدير فجأة
ويودعها بضربة استفزازية على طبليته).

أموية: لا أدري ماذا حل بالدنيا؟ عراف لص وبائعة

محتالة! والآن يأتي هذا المخلوق برأسه المليء
بالقمل ليستجدي نقودي. الأفضل له، هو
والعراف، أن يصحبا أمهما بائعة السمك
تطفأ الأضواء بالتدريج

المشهد الثالث

بعد برهة قصيرة من الزمن. الشاطئ. بعض الأوتاد وجرائد النخيل تعين حدود المنطقة التي تشغلها كنيسة الأخ جيرو. على أحد الجانبين شجرة نخيل، وفي الوسط كومة رمل، هذا إضافة إلى مرآة صغيرة وبضع زجاجات فارغة مرتبة يتدلى من أحدها صليب ومسبحة. الأخ جيرو واقف كما كان في آخر مرة رأيناه فيها حين فر هاربا. وهو يلبس رداء أبيض فضفاضا وقبعة من المخمل الناعم بيضاء اللون كذلك. إنه يقف باستقامة ممسكا عصا الكهانة بيد، بينما يمسح على القبعة البيضاء باليد الأخرى.

جيرو:

لا أدري كيف استطاعت أن تجد بيتي. حين اشتريت منها البضاعة لم يخطر لها أن تسأل أي أسئلة، فقد كانت مهنتي ضمانة كافية للدفع. ولا يعني هذا أن عملي يدر دخلا كبيرا. كما أنني لم أشتري هذه القبعة المخملية بداعي الترف. إذ إنها ما كانت ضرورية لولا أن المرء صار مضطرا أكثر فأكثر إلى أن يميز نفسه عن الحثالة الذين يلطخون مهنتنا بالعار. من الواجب على المرء أن يكون بارزا، ومميزا، ولهذا فقد تعلق قلبي باسم معين. فحين ينظر الناس إلى

قبعتي المخملية، ويفكرون في الخير الذي
تتطوي عليه نفسي، فسوف ينادونني من دون
شك جيرو ذا القلب المخملي، (يعتدل في وقفته)
جيرو النقي، بطل الحملة المسيحية المفوه...

حسنًا، لقد أفشيت السر الذي لم أبح به لأي
مخلوق من قبل. ولكن هذا هو طموحي، إذ يجب
أن يكون للإنسان اسم يثير الخيال، لأن الخيال
جزء من الروح، ولا بد للاسم من أن يستحوذ على
خيال العامة. نعم، لا بد من مجازاة التطور،
والافتقار إلى الجاذبية لا يحقق شيئًا حتى في
مهنة العرافة (ينظر حواليه)، يا لهؤلاء الدجالين!
ليت الشاطئ يخلو لي وحدي. (بغف مفاجئ)،
ولكن كيف للمرء أن يحفظ كرامته حين تجبره
بنت حواء على مفادرة بيته من النافذة؟ لعن الله
تلك المرأة. لم يكن يخطر لي على بال أنها تتحدى
رجالاً من رجال الله. جنيه وثمانية شلنات مقابل
هذه القبعة الهزيلة؟ إنها سرقة سافرة.

(يلقي نظرة متفحصة إلى المكان. تمر شابة
ناعسة ليس عليها إلا إزارها).

جـيرو: تمر هنا كل صباح في طريقها إلى السباحة.
يا لها من مخلوقة قذرة!

(يتثاءب) يسرني أنني وصلت قبل قدوم أي
زبائن - أقصد مصلين - حسنًا، فليكن، زبائن،

فكل صباح ينتابني شعور صاحب متجر ينتظر
قدوم الزبائن. المداومون منهم يصلون في أوقات
محددة، أناس ساخطون، غريبو الأطوار. أعلم
أنهم ساخطون لأنني أبقئهم ساخطين... فما أن
يחסوا بالاكْتفاء حتى يتوقفوا عن المجيء. خذ
مثلا معاوَنِي الطيب شومة الذي يريد أن يضرب
زوجته، ولكنني لا أسمح له بذلك. فلو سمحت
له لأصبح راضيا، مما يعني أن يذهب واحد من
رعيتي إلى غير رجعة. مادام لا يضربها فهو
يأتيني عديم الحيلة، وعندها فلا خوف من أن
يتمرد علي. وإذن فقد أعددت لكل شيء عدته.

(تعود الفتاة فتعبر الخشبة. لقد انتهت من
السباحة للتو، والفرق ظاهر في وجهها
وشعرها، وقد علتها النظافة والإشراق.
تواصل تنظيف نفسها بإزارها وهي ماشية).

(وهو يلاحقها بعينه طوال الوقت): في كل
صباح، في كل يوم، أشهد هذا التحول الرياني.
رباه!

جـيرو:

(يهز رأسه وهو يصيح)

صلّ أيها الأخ جيروم، وصلّ. صلّ طلبا
لقوة تواجه بها هذا الإغواء.

(يخر على ركبتيه مغلقا قبضتيه وقد تقلص
وجهه من الألم.

يدخل شومة وهو يدفع دراجته، ثم يسندھا
إلى شجرة نخيل)

جيرو: (من دون أن يفتح عينيه): صلّ معي يا أخي،
صلّ معي. صلّ معي لأقاوم هذا الضعف...
لأقاوم هذا الضعف. رباه!

شومة: (يخر راكمًا على الفور): ساعده يارب.
ساعده يارب.

جيرو: لأقاوم هذا الضعف. يا رب إبراهيم.

شومة: ساعده يارب. ساعده يارب.

جيرو: لأقاوم هذا الضعف، يا رب داوود. يا رب
صاموئيل.

شومة: ساعده، ساعده، ساعده.

جيرو: يا رب أيوب . يا رب إيليا.

شومة: (بانفعال متزايد): ساعده يارب، ساعده

يارب، هيا ساعده، هيا ساعده. سريعًا، سريعًا.

جيرو: انزع من قلبي تلك الصورة. انزع هذا الحب
لبنات حواء...

شومة: ساعده يا آدم. ساعد ولدك. ساعد

ولدك. هيا.

جيرو: أأخذ تلك الشهوة لبنات حواء.

شومة: يا رب ساعده مرة، يا رب يسوع.

جيرو: أبراكًا، أبراكًا، أبراكًا.

(يشاركه شومة).

هيبرا، هيبرا، هيبرا، هيبرا، أبرাকা، أبرাকা.
جيرو: (ينهض): بارك الله فيك يا أخي. (يستدير)
شومة!

شومة: صباح الخير يا أخ جيرو.
جيرو: لست في عملك يا شومة. لم يسبق لك أبدا
أن أتيت في الصباح.
شومة: لا، لقد ذهبت إلى العمل ولكنني اعتذرت
بالمرض.

جيرو: لماذا؟ هل أنت مريض يا أخي؟
شومة: لا يا أخ جيرو... أنا...
جيرو: آها. أنت تعاني مشكلة لم تطق صبرا إلى
أن تبلغها لله. سوف نصلي معا.
شومة: أخ جيرو... أنا... (يتوقف نهائيا).
جيرو: هل تجد الأمر صعبا؟ إذن فلندعُ الله في
صمت.

(يعقد شومة ذراعيه ويرفع عينيه إلى
السماء).
جيرو: ماذا دهاه يا ترى؟ الحقيقة أنني عرفت
بمجرد أن فتح فمه، فهذه البربرة الحيوانية لا
تصدر إلا عن الأخ جيرو حين يصيبه انفعال
روحي. وهذا ما يروق لي تماما. إنه جلف
بالفعل، ولكن هذا الأمر في مصلحتي، لأنه
يحول بينه وبين أن يحسب نفسه نداً لي.

(ينضم إلى شومة في وضعية التأمل، ولكنه يتركها على الفور تقريبا، كأنه يتذكر شيئا ما).
رحماك يارب. لقد أحسنت فعلا بالإفلات من تلك اللعينة. إن تلميذي هذا يظن أنني أنام على الشاطئ، هذا إذا كنت أنام أصلا، وهذا ما يظنه معظم المريدين. أما أنا فأفضل النوم على سرير، فهو أكثر راحة بكثير، كما أن الليل بارد على الشاطئ. وعلى رغم ذلك فالأفضل لهم أن يروا في زاهدا من نوع ما.
(يستأنف وضعية التأمل بضع لحظات)
(بلطف) افتح ذهنك للرب يا أخي، فأنت بين يديه، افتح ذهنك للرب.
(يلبث شومة صامتا لبعض الوقت، ثم ينفجر بشكل مفاجئ)

شومة:

أيها الأخ جيرو، لا بد أن تتركني أضربها.

جيرو:

ماذا؟

شومة:

(بيأس): مرة واحدة أيها العراف، مرة

واحدة فقط.

جيرو:

أيها الأخ شومة.

شومة:

مرة واحدة أيها العراف، أضربها فيها

بشدة. وأقسم أنني لن أسألك هذا ثانية.

جيرو:

أيها المارق! ألم أبلغك إرادة الرب في هذه

المسألة؟

- شومة: ولكن يجب أن أضربها أيها العراف. لا بد أن تتقذني من الجنون.
- جيرو: سأنقذك إذا أطعنتي.
- شومة: أطيعك في كل شيء عدا ذلك. ولكن دعني أضربها مرة واحدة فقط.
- جيرو: مارق!
- شومة: لن أضربها بشدة. علكة صغيرة فقط... مرة واحدة فقط.
- جيرو: خائن!
- شومة: مرة واحدة فقط. ولن أسأل مرة ثانية. اعمل فيّ هذا المعروف. اجعلني أضربها اليوم.
- جيرو: أيها الأخ شومة، ماذا كنت قبل أن تأتي إليّ؟
- شومة: أيها العراف.
- جيرو: (بحزم): ماذا كنت قبل أن تغمرك نعمة الله؟
- شومة: عاملا أيها العراف. عاملا عاديا.
- جيرو: أولم أتنبأ بأنك ستصير ساعيا؟
- شومة: بالضبط يا أخي، صحيح.
- جيرو: ثم حاجبا؟
- شومة: بالضبط يا أخي، صحيح.
- جيرو: وبعدها ترقية سريعة. أولم أتنبأ بذلك؟
- شومة: مضبوط أيها العراف.
- جيرو: وماذا أصبحت الآن؟ ماذا أصبحت؟
- شومة: حاجبا أول.

جـيـرو: بفضل من الله. أولم أرك، وبفضل من الله،
عند طاولة كبير الموظفين وأنت وراء المكتب
تصدر الأوامر؟

شـومـة: نعم أيها العراف ... ولكن ...
جـيـرو: وأمامك هاتف، وجرس لاستدعاء الحاجب؟
شـومـة: صحيح أيها العراف، ولكن ...
جـيـرو: ولكن؟ ولكن؟ اركع (مشيرا إلى الأرض)،
اركع.

شـومـة: (يفرك يديه): أيها العراف.
جـيـرو: اركع. اركع أيها الآثم. اركع يا ذا القلب
المتحجر، يا ربيب عشتار وبعل^(٦). اركع، اركع.

شـومـة: إنني أعيش في جحيم.
جـيـرو: سامحه يارب، سامحه.
شـومـة: في صباح هذا اليوم بالذات ...
جـيـرو: سامحه يارب، سامحه.
شـومـة: هذه المرأة ستقتلني
جـيـرو: سامحه يا رب، سامحه.
شـومـة: كل الطريق على دراجتي.
جـيـرو: سامحه يا رب، سامحه.
شـومـة: ولا كلمة شكر واحدة.

جـيـرو: اخرجي يا عشتار. اخرج يا بعل.
شـومـة: لم أجد منها إلا الإساءة والإساءة والإساءة ...
جـيـرو: يا ذا الفؤاد المتحجر ...

شومة:

لو أستطيع أن أضربها مرة واحدة، مرة واحدة فقط

جيرو:

(يصيح به إلى أن يصمت): اغفر لهذا الأثم.
اغفر له في النهار، اغفر له في الليل، اغفر له في الصباح، اغفر له في الظهر...
(يدخل رجل فيركع على الفور ويردد من ورائه «آمين»، أو «سامحه يارب»، ويحذو اللاحقون حذوه)

.... اللهم رقق له قلبه. أيها الأخ شومة، هذه المرأة التي تتحرق لضربها هي سندك، فاحمله بعزم. إنها الاختبار الذي أرسلته لك السماء، فلا تمسسها بسوء. آمرك ألا تقسو عليها بكلمة واحدة. صلّ أيها الأخ شومة، صل طلبا للقوة في وقت المحنة هذا. صل طلبا للقوة والثبات (يتركهم جيروم لمواصلة إنشاد اللازمة ذاتها «الرحمة، الرحمة»، فيما يلقي التعليقات التالية):

جيرو:

ها قد بدأوا يتوافدون وفق الترتيب المعتاد. هذا دائما أول من يأتي، وقد تبأت له بأنه سيصبح زعيما في بلده. وتلك نبوءة مأمونة للغاية، مثلها مثل أكثر نبوءاتنا شعبية، ومفادها أن شخصا ما سيعيش حتى يبلغ الثمانين. فإن لم تتحقق هذه النبوءة...

(يدخل زوجان عجوزان وينضمّان إلى
الإنشاد كمن سبقهما).

فلن يعرف صاحبنا ذلك حتى يصير على
الجانب الآخر. وهكذا فالجميع سعداء.

واحد من أخلص أتباعي، وهو لسوء الحظ
لا يستطيع المجيء إلا في نهاية الأسبوع، يعتقد
اعتقاداً راسخاً أنه سيصبح رئيس وزراء دولة
الشمال الشرقي الأوسط، هذا عندما تؤسس.
الحقيقة أنني خاطرت نوعاً ما بإطلاق هذه
النبوءة، إلا أنني كنت وقتها في حاجة ماسة
إلى المصلين.

(ينظر في ساعته) والآن تصل أكثر
التائبات إخلاصاً. إنها تريد أطفالاً، لذلك
فحالتها محزنة، أو هذا ما يبدو عليها.
غير أنها تستطيع ملاحظة كل ما يجري
حولها، حتى وهي في أشد نوبات الندم
تحقيراً للذات. الحقيقة، إنه من الأفضل
لي أن أعود إلى الصلاة، فهي دائماً أول من
ينبهني إلى أن تفكيري ليس مركزاً على
الصلاة...

(يغير من أسلوبه) انهض يا أخ شومة.
انهض ودع الرب يدخل قلبك. يا خادم الرب،
ألست أنت من سيحط ردائي على كتفيه؟

(تدخل امرأة، هي التائبة، وتركع على الفور
في وضعية الصلاة)

شومة: بلى يا أخ جيرو.

جيرو: إذن فيم تغلق قلبك؟ الرب يقول إنه لا يجوز
لك أن تضرب المرأة التي اختارها لتكون
زوجتك وسندك في وقت المحنة، فهل تعصيه؟

شومة: لا يا أخ جيرو.

جيرو: هل تعصيه؟

شومة: لا يا أخ جيرو.

جيرو: المجد لله.

جماعة المصلين: المجد لله.

جيرو: هاليلويا...

الجماعة: هاليلويا...

(يغنون على إيقاع التصفيق «سأَمْضِي وراء
يسوع» وهم يتمايلون، ثم يتحولون إلى الرقص
حين يتزايد حماسهم.

حين يبدأ الغناء، يناول جيرو قنيتين لشومة
الذي يمضي لملئهما من ماء البحر.

لا يكاد شومة يخرج حتى يظهر الطبال
راكضا من أعلى الخشبة وقد أثقله حمل
طبلتي «الجانجان»، وهو يلقي وراءه نظرات
خائفة تتم عن رعب هائل مما يطارده كائنا
من كان. وبعد عشر ياردات أو ما يقارب ذلك،

يتبين أن من يطارده امرأة قد شدت نطاقها
حول خصرها بإحكام، ورفعت إزارها عن
قدميها، وشمرت عن كميها إلى ما فوق
كتفيها، وهي تحت الخطى وراء الطبال من
دون أن تتخطاه.

أما جيرويم الذي واصل التحديق بها
بتركيز يمتزج بالألم، فيعود إلى وعيه ويخر
راكعا وهو يهمهم.

يعود الطبال إلى الظهور ويعبر الخشبة في
اتجاه مختلف، وهو لا يزال يركض وتتبعه المرأة
بالسرعة الثابتة ذاتها، والبعد بينهما لم
يتناقص. يناديه جيرويم)

ماذا فعلت لها؟

جيرو:

(من دون أن يتوقف): لا شيء. كنت أدق
على الطبل فحسب، فظننت أنني أفعل ذلك
لإهانة والدها.

الطبال:

(حين تصوير المرأة في مرمى النظر): أيتها
المرأة.

جيرو:

(تتابع المرأة سيرها إلى الخارج، ويدخل
شومة بالقنيتين المليئتين)

(يهز رأسه): أعرفها جيدا، فهي جارتى.
ولكنها تجاهلتنى.

جيرو:

(يهم جيرو بمباركة الماء حين يظهر الموكب

نفسه ثانية، الطبال ووراءه المرأة)
 جـيـرو: تعال إلي. لن تجرؤ على أن تمسك
 الطـبـال: (يزيد من سرعته): أنت لا تعرفها...
 (تدخل المرأة في مجال الرؤية)
 جـيـرو: أيتها الجارة، أيتها الجارة. يا أختاه في
 الدين...
 (تتابع المرأة المطاردة إلى خارج الخشبة.
 يتردد جيرو، ثم يناول عصاه لشومة ويمضي
 في إثرهما)
 شـوـمـة: (يتذكر فجأة): إنك لم تبارك الماء يا أخ
 جيرو بم.
 (إلا أن جيرو قد أصبح خارج نطاق
 السمع، أما شومة فمن الواضح أن المسؤولية
 الجديدة قد أربكته. يعبث بعصاه، وفي نهاية
 المطاف يستخدمها لقيادة الغناء الذي
 تواصل طوال الفترة السابقة، إلا أنه كان
 يهمد عند ظهور المتبارين، ثم يعود فينشط
 بعد مرورهما.
 ولا يكاد شومة يبدأ قيادة فرقته الموسيقية
 حتى تخرج امرأة من الجماعة وقد أصابتها
 نوبة التائبين المعهودة)
 آ آ آ آ
 التـائـبـة: (وقد استولت عليه المفاجأة): ما ... ما ...
 شـوـمـة:

ما... ماذا هناك؟

آآآ

التائب:

(يندفع إلى الخارج): يا أخ جيرويم. يا أخ
جيرويم.

شومة:

(يصيح شومة في كل الاتجاهات، ويعود
حائراً في كل مرة ليحاول السيطرة على
التائب. وحيث إن قدوم جيرويم لا يبدو
وشيكا، يبدأ بكثير من الارتباك في رش
رذاذ الماء على التائب، راسماً علامة
الصليب على جبهتها. إلا أن عليه أن يتم
هذه العملية بسرعة كبيرة خلال البرهة
القصيرة التي تنهض فيها التائب من
تخبطها على الأرض.

(متلعثماً): اغفر لها يا أبانا.

شومة:

(بقوة): آمين.

الجماعة:

(يكون لرد فعل المصلين وقع الصدمة على
شومة حتى يكاد يطرحه أرضاً، إلا أنه يفيد في
تعزيز ثقته بنفسه وقد تلقى هذا الدعم)

اغفر لها يا أبانا.

شومة:

آمين.

الجماعة:

(تواصل التائب عويلها)

اغفر لها يا أبانا.

شومة:

آمين.

الجماعة:

شومة:

اغفر لها يا أبانا .

الجماعة:

آمين .

شومة:

هيا اغفر لها يا أبانا .

الجماعة:

آمين .

(يتزايد إيقاعهم بسرعة فيما يندمج شومة
بدوره تماما)

شومة:

هيا اغفر لها .

الجماعة:

آمين .

شومة:

اغفر لها مرة واحدة .

الجماعة:

آمين .

شومة:

اغفر لها، أسرع، أسرع .

الجماعة:

آمين .

شومة:

اغفر لنا جميعا .

(يتابع دعاءه الذي تتخلله لازمة «آمين»)

نعم يا أبانا، اغفر لنا جميعا، أنقذنا من
الثرثرة، أنقذنا من متاعب المنزل .

(تتمدد التائبة على الأرض وقد خيم عليها

السكون)

قل لزوجاتنا ألا يسببن لنا المشاكل .
وأعطنا نقودا حتى يكون لنا منزل سعيد .
أعطنا نقودا لحاجاتنا اليومية، ولا تنس من
يكدحون منا كل يوم . اجعل كاتب اليوم
موظف الغد، واجعل حاجب اليوم مسؤول

الغد . نعم يا أبانا، اجعل حاجب اليوم
مسؤول الغد .

(يردد المصلون بنشوة متزايدة)

من هم تجار صغار اليوم، اجعلهم متعهدين .
كبارا في الغد . من يكنسون الشارع اليوم،
أعطهم مكاتب كبيرة في الغد . من يمش على
قدميه اليوم، أعطه دراجة في الغد . ومن عنده
دراجة اليوم، أعطه سيارة في الغد .

(عند هذه المرحلة يردد المصلون من ورائه
بحماسة طاغية)

أقول من يجر دراجة اليوم، أعطه سيارة
كبيرة في الغد . أعطه سيارة كبيرة في الغد،
أعطه سيارة كبيرة في الغد ...

(تدخل المرأة الغاضبة في مجال الرؤية وهي
تخطو بالطريقة السابقة نفسها، إلا أن
الطبلتين الآن قد صارتا في حوزتها . وبعدها
بعدة خطوات يجرجر الطبال خطواته بيأس
وهو يتوسل)

الطبال: أتوسل إليك، أعطني الطبلتين . أستحلفك
بالله . لم أكن أقصد إهانة أبيك .. أناشدك
الله ... لم أكن أقصد إهانة أبيك . كنت أطبل
فقط .. أقسم بالله أنني كنت أطبل فقط ...

(يعبران الخشبة)

التائب:

(التي استعادت الكثير من حيويتها منذ
القسم الأخير من الصلاة، مشيرة بيدها): الأخ
جيروبيم!

(لقد دخل الأخ جيروبيم في مجال النظر
للتو. يهرع الجميع لمساعدته في دخول الحلقة.
لقد تغير كثيرا، فثيابه ممزقة ووجهه
ينزف).

جيرو:

(بهدهوء وألم): أشكركم جميعا أيها الإخوة
والأخوات. أرجو أيها الأخ شومة أن تخبر هؤلاء
الأصدقاء أن يغادروني. فلا بد لي من أن
أصلي من أجل هذه الخاطئة. لا بد من أن
أصلي صلاة خاصة لها.

(يشير إليهم شومة بالانصراف، فينصرفون
على مضض وهم يثرثرون)

جيرو:

الصلوات هذا المساء كالعادة، آخر العصر.
شومة (يصيح في إثرهم): الصلوات آخر
العصر كالعادة. والأخ جيروبيم يدعو لكم أن
يحفظكم الله إلى ذلك الحين.

شومة:

هل أنت على ما يرام يا أخ جيرو؟
من كان يظن أنها تجرؤ على أن ترفع يدها
على رجل من رجال الله؟

جيرو:

شومة:

النساء بلاء يا أخي.
لقد خامرني هاجس هذا الصباح أن النساء

جيرو:

سيلقين بي إلى الهلاك اليوم. إلا أنني فهمت
الأمر من الناحية الروحية.

شومة:

وها قد فهمت معناه الحقيقي يا أخ جيرو.

جيرو:

منذ اللحظة التي نظرت فيها من نافذتي
هذا الصباح وبنات الشقاق ينغصن عليّ
عيشتي بطريقة أو بأخرى.

شومة:

(بحماسة): هذا هو ما أعانيه نفسه أنا
أيضا يا أخي. في كل يوم، في كل صباح، في
كل ليلة. في هذا الصباح بالذات جعلتني
أخذها إلى بيت رجل مسكين تقول إنه استدان
منها بعض النقود، وحملت دراجتي بما يكفي
لحصار يدوم أسبوعا، فلم أئل منها إلا الإهانة.
هذه محنة من دون شك، وهي تتطلب
الكثير من...

جيرو:

(ينتابه الشك فجأة)

يا أخ شومة، هل قلت إن زوجتك ذهبت هذا
الصباح بالذات لتحاصر بيت... شخص يدين
لها بنقود؟

شومة:

نعم. لقد أخذتها هناك بنفسني.

جيرو:

آه. هكذا إذن. (يتحنج) هل زوجتك تاجرة؟

شومة:

نعم، تاجرة صغيرة، يعني صوفا وحريراً

وقماشاً وما شابه.

جيرو:

هكذا إذن. يا لها من امرأة مدبرة. (يهمهم)

آ آ آ ... أين يقع بيت هذا الرجل... أعني هذا
الذي يدين لها بنقود؟

شومة:

غير بعيد عن هنا. في مساكن آجت على
بعد ميل أو ميلين من هذا المكان.
لم أكن أعلم حتى بوجود هذا المكان إلى
اليوم.

جيرو:

(مخاطبا نفسه): تلك هي زوجتك إذن...

شومة:

هل قلت شيئا أيها العراف؟

جيرو:

لا لا. لقد كنت أفكر كيف أن النساء لم
يتغيرن إلا قليلا منذ أيام حواء، منذ أيام
دليلة وإيزابل^(٧). إلا أن علينا أن نشد من
عزمنا. إن لدي صليبي أنا أيضا يا أخ
شومة. ففي هذا الصباح وحده دخلت في
صراع مع بنات الشقاق ثلاث مرات. أولا هن
... لا، دعنا من هذه. هناك واحدة غيرها
تعرض طريقتي وهي ذاهبة للسباحة هناك.
ثم تنتظر إلى أن أكون غارقا في التأمل
لتمر أمامي وهي تتبختر في غنج ودلال
أمام ناظري...

شومة:

(مخاطبا نفسه): ليتني أبادل صليبي
بصليبك.

جيرو:

ماذا يا أخ شومة؟

شومة:

كنت أصلي فحسب.

جيرو: أم. هذا هو السبيل الوحيد. ولكنني ... آ آ ...
... أتساءل ما هي إرادة الله في هذه المسألة.
فعلى رغم كل شيء، فإن المسيح نفسه لم
يمنع في استخدام العقاب حين اقتضت
الضرورة ذلك؟

شومة: (بلهفة): لا، إنه لم يتردد.
جيرو: في هذه الحالة يا أخ شومة، وحيث إن
زوجتك خاطئة وآثمة مفعنة في الإثم، فأظن ...
نعم أيها المبارك...

شومة: أن تأخذها الليلة إلى البيت...
جيرو: نعم...
شومة: وتضربها.

شومة: (يركع ويضم يد جيرو في يده): أنت عراف
حقيقي.

جيرو: تذكر أن تفعل ذلك في بيتك. يجب ألا
نعرض خلافاتنا العائلية أمام الناس. خذها
إلى البيت، واضربها.

(يهب شومة واقفا ويأتي بدراجته)

شيء آخر يا أخ شومة ...

نعم أيها العراف...

شومة: لقد ظهر لي المسيح ثانية هذا الصباح في
الرداء نفسه الذي كان فيه حين سماك خليفة
لي، ووضع سيفه الملهب على كتفي ورسمني

فارسا، وأعطاني لقباً جديداً... ولكن يجب
ألا تقضي به لأحد، حتى الآن.

أقسم يا أخ جيرو.

شومة:

(يصدق في الفضاء): لقد سماني جيرو
الطاهر النقي، بطل الحملة المسيحية المفوه.
(يصمت، ثم يصرف شومة بإشارة ملكية)
يمكنك الذهاب يا أخ شومة.

جيرو:

في حفظ الله يا أخ جيرو... النقي.
في حفظ الله يا أخي. (يتحسس قبعته
المخملة بحزن)

شومة:

جيرو:

تخفت الأضواء

المشهد الرابع

أمام بيت العراف، كما في المشهد الثاني،
في وقت لاحق من اليوم نفسه.

شومة يمسح آخر ما تبقى على طبقه من
فتات البطاطا الحلوة، فيما أموبة تراقبه.

لا يمكنك أن تنكر أنني أفعل ما في
استطاعتي. وحتى حين يجبرني الدائنون على
مغادرة بيتي يبقى في استطاعتي أن أعد لك
وجبة من الطعام.

أموبة:

(يمص أصابعه وينزل الطبق على الأرض):
وجبة جيدة أيضا.

شومة:

أنا أقوم بواجبي كعهدي دائما، وقد
طهوت لك وجبة من الطعام. ولكن حين
أطلب منك أن تأتيني ببعض الماء النظيف،
تنسى ذلك.

أموبة:

لم أنس.

شومة:

هذا ما تقوله دائما. أين الماء إذن؟ لعل الأواني
قد سقطت عن دراجتك على الطريق وانكسرت.

أموبة:

هذا كذب أطفال يا أموبة. أنت تحدثين رجلا.

شومة:

ما أروعك من رجل لا يستطيع أن يتذكر

أموبة:

حتى أبسط الأشياء كوعاء الماء مثلا.

شومة:

لقد تذكرت، ولكنني لم أحضره معي، هذا هو كل ما في الأمر. والآن احزمي متاعك لأننا عائدون إلى المنزل.

(تحقق فيه أموبة غير مصدقة).

أموبة:

احزمي متاعك، لقد سمعت ما قلته.

شومة:

(بتمعن): لقد فكرت أنك رجعت في وقت مبكر قليلا. وهذا لأنك لم تذهب إلى العمل، بل كنت تشرب كل النهار.

شومة:

فكري بما يحلو لك. أنت تعلمين أنني لا أمس الخمر.

أموبة:

مكره أخاك لا بطل. أنت لا تشرب لأنك لا تستطيع أن تدفع ثمن الخمر، وهذا هو السبب الوحيد لامتناعك عن الشرب.

شومة:

أسرعي، لدي عمل معين علي أن أقوم به حين أعود إلى المنزل، ولا أريدك أن تؤخريني.

أموبة:

اذهب إذا شئت. أما أنا فلن أترحزح من هنا حتى أحصل على نقودي.

(يهب شومة واقفا، ويبدأ بإلقاء حاجياتها في الكيس).

يدخل الأخ جيرو، ثم يختبئ ويراقبهما).

أموبة:

(بهدهوء): آمل أن أجد لديك حبالا تربطني بها على الدراجة، لأنني لا أنوي مغادرة هذا المكان إلا محمولة. جنيه وثمانية

شلنات ليست لعب أطفال. وهي نقودي
وليست نقودك.

(لقد انتهى شومة من صر الكيس وهو الآن
يربطه على حامل الدراجة).

أمـوبة: أنت تعلم أن راتب الحاجب ليس شيئاً يذكر،
هذا إذا نسيت أنك لا تتقاضى راتب وزير.
ولهذا فالأفضل لك أن تراجع نفسك قبل أن
تطلب مني أن أترك مالي الذي حصلته بعرق
جبيني في يد هذا الصعلوك.

تصور، في هذا الصباح بالذات، وبينما كنت
جالسة هنا، جاء مفتش الصحة ونظر إلي من
قمة رأسي إلى أخمص قدمي، ودوّن بعض
الملاحظات في دفتره، ثم قال، أظنك تدركين
أيتها المرأة أن هذا المكان يدخل ضمن مشروع
إزالة المساكن المخالفة، ووجه كلامه لي كأنني
أعيش هنا، أما أنت فتقعد وتترك زوجتك
معرضة لمثل هذه الإهانات. كما أن مفتش
الصحة لديه دراجة نارية، وهي أفضل من
الدراجة العادية.

شـومة: الأفضل لك أن تجهزي في الحال.

أمـوبة: ووظيفة مفتش الصحة أفضل على كل حال،
حيث يمكن للمرء أن يصير شخصاً له قيمة. هذا
ما يفعله الجميع، قليل من هنا وقليل من هناك.

سمها رشوة إن شئت، ولكن ها أنت ترى ما صارت
إليه حالك، على رغم أنك لا تشرب ولا تدخن ولا
ترتشي. المفتش لديه دراجة نارية... وعلى أي حال،
من يريد أن يقدم الكولا لحاجب أول؟

أغلق فمك أيتها الثرثارة!

(مشدوهة): ماذا قلت؟

قلت أغلق فمك أيتها الثرثارة.

لي أنا؟

أغلق فمك وإلا أغلقته لك (يشد الحصيرة
على قضيب الدراجة العرضي)، والأفضل لك أن
تلتزمي حدودك من الآن فصاعدا. لقد انتهى زمن
الصبر بعد أن رفع العراف صليبي عن كتفي.

(بألم حقيقي): إنه مجنون.

(يربط الحصيرة بطريقة تنذر بالشر): لقد
انتهى زمن المحنة بالنسبة إليّ. (يخنق
الحصيرة خنقا)، وإذا تجرأت الآن على فتح
فمك... (يلوي السلك مرة إضافية).

رحماك يا رب! لقد جن الرجل.

(بلهجة آمرة): اركبي على الدراجة.

(متراجعة): لن أركب معك.

قلت لك اركبي على الدراجة.

ليس معك. سأعود وحدي إلى البيت.

(يتقدم شومة نحوها فتصرخ طلبا للنجدة،

شومة:

أمـوـبة:

شومة:

أمـوـبة:

شومة:

أمـوـبة:

شومة:

أمـوـبة:

شومة:

أمـوـبة:

شومة:

أمـوـبة:

فيرسم جيرو علامة الصليب. يمسكها شومة
من يدها إلا أنها تفر منه وتركض نحو جانب
المنزل وتدق على الباب).

أمـوـبة: النجدة! افتح الباب بحق الله. دعني أدخل.
دعني أدخل.

(يقطب الأخ جيرو)

هل من أحد في الداخل؟ دعني أدخل بحق
الله. دعني أدخل وإلا عاقبك الله.

جـيـرو: (يسد أذنيه بأصابعه): كفر!

أمـوـبة: أيها العراف. أين العراف؟

(يرفعها شومة بكامل ثقلها)

أمـوـبة: دعني أدخل. إلي بالشرطة. إلي بالشرطة.

شـوـمة: (ينزلها): إذا تجرأت على الصراخ ثانية

فسوف... (يرفع قبضته الكبيرة)

(يشهق الأخ جيرو متظاهرا بالخوف ويبيدي

أسفه بصوت مسموع، ويغطي عينيه بيديه ثم

يفادر المكان).

أمـوـبة: أنت مجنون... مجنون.

شـوـمة: اركبي الدراجة.

أمـوـبة: اقتلني. اقتلني.

شـوـمة: إياك وإغرائي يا امرأة.

أمـوـبة: لن أركب هذا الشيء ما لم تقتلني أولا.

شـوـمة: يا لهذه المرأة.

(يصل اثنان أو ثلاثة من الجيران إلا أنهم
يبقون بعيدا احتراما للموقف).

أمـوـبـة:

اقتلني. عليك أن تقتلني. فليأت الجميع
ويشهدوا. هذا الرجل سيقتلني فاشهدوا. إني
أسامح كل من استدان مني، وخصوصا العراف
الذي ورطني في كل هذه المشاكل. يا أخ جيروبيم،
أمل أن تصلي من أجل روعي في السماء.
ليس لك روح أيتها الآثمة.

شـوـمـة:

أمـوـبـة:

يا أخ جيروبيم، العن لي هذا الرجل. لك أن
تحتفظ بالخلعة المخملية إذا لعنت هذا الأحمق.
أعفيك من دينك. هيا أيها الأحمق، اقتلني. إن لم
تقتلني لن تتجح في شيء في كل حياتك.
(فجأة): اخرسي.

شـوـمـة:

أمـوـبـة:

(يتزايد حماسها إذ يتوافد المزيد من
الناس): اشهدوا جميعا، أخبروا العراف أنني
أعفيته من دينه شرط أن يدعو على هذا
الأحمق بأن يذهب إلى جهنم. هيا اقتلني.
(الذي أشاح بوجهه عنها وقد قطب جبينه):
ألا يمكنك أن تسكتي يا امرأة.
لا. يجب أن تقتلني.

شـوـمـة:

أمـوـبـة:

(يثرثر الجميع في ضوضاء لا تتقطع، وهم
خائفون كالعادة من فكرة التدخل في شجار بين
رجل وزوجته، غير أنهم يعبرون عن قلقهم بفتور).

«ما الأمر، ها؟». «الزم الصمت أنت وهي».
«أتظن أننا يجب أن نرسل وراء العراف؟». «يا
لهن من مزعجات هؤلاء النساء». «فليذهب
أحد ويستدع الأخ جيرو».

شومو: (يرفع رأس أموبة التي أغلقت عينيها بإحكام
كعادة المرأة التي تمثل دور الضحية، واستمرت
تضرب بقبضتيها على عتبة باب العراف):
اخرسي وأنصتي. هل سمعتك تقولين العراف؟

أموبة: راقبوه. اشهدوا، سوف يقتلني.
شومو: لن أمسك إلا إذا لم تجيبي عن سؤالي.
أموبة: اقتلني. اقتلني.

شومو: يا امرأة. هل قلت إن من استدان منك نقودا
هو العراف؟

أموبة: اقتلني.
شومو: هل هذا هو بيته؟ (يهز رأسها)، هل يعيش هنا؟
أموبة: اقتلني. اقتلني.

شومو: (يبعدا عنه باشمئزاز ويستدير نحو
الجمع، فيتراجعون بشكل غريزي): هل الأخ
جيرو بم...؟

أقرب شخص إليه: (بعجلة): لا، لا. لست
الأخ جيرو. ليس أنا.

شومو: من قال إنه أنت؟ هل يعيش العراف هنا؟
الرجل نفسه: نعم هناك في هذا المنزل.

شومة:

(يدور حول نفسه، ثم يقف جامدا دون حراك ويحدق في المنزل فترة لا بأس بها):
هكذا إذن... هكذا إذن.

(يقف الجميع حائرين للتغير الذي أصاب حالته، وحتى أموبة تنظر إلى الأعلى بتساؤل. يمشي شومة باتجاه دراجته وهو يهتمم لنفسه).

هكذا إذن... فجأة يقرر السماح لي بضرب زوجتي، ها؟

من أجل مصلحته. من أجل مصلحته.

(ينزل الصرة عن حامل الدراجة ويلقي بها على الأرض دون اكتراث، كما يفك الحصيرة أيضا).

ماذا تراه يفعل الآن؟

أحد الواقفين:

(يركب دراجته): ابقى هنا ولا تتحركي. إذا لم أجذك هنا حين أعود...

شومة:

(يقود دراجته إلى الخارج، بينما يحدق فيه الجميع في ذهول).

إنه مجنون تماما. لم أره يتصرف على هذا النحو من قبل.

أموبة:

هل أنت واثقة؟

أحد الواقفين:

هل أنا واثقة؟ أنا زوجته، فأنا خير من يعلم، أليس كذلك؟

أموبة:

واحدة من

الواقفين:

إذن عليك أن تدعي العراف يعتني به. لقد
كان لي فيما مضى أخ كانت تصيبه نوبات صرع
ويخرج الزيد من فمه في كل أسبوعين. إلا أن
العراف شفاه وأخرج الشياطين منه، أقول لك
الحق.

أمـوبـة:

هذا لا يستطيع أن يفعل شيئاً. إنه مدين
لي، وكل ما يعرفه هو كيف يتهرب من دائنيه.
(تباشر فك صرتها)

تخفت الأضواء

المشهد الخامس

الشاطئ قرب الغروب.

أسفل الخشبة، يمينا، يقف باستقامة رجل يرتدي قبعة وبذلة رسمية متقنة ذات ذيل طويل، ويبيده رزمة من الأوراق. من الواضح أنه يلقي خطابا، إلا أننا لا نسمعه، لا شك أنه خطاب ناري. يقف الأخ جيرو باستقامة تامة كعادته، وهو يمعن النظر فيه بتعاطف وترفع.

جيرو: باستطاعتي تعليمه بعض أسرار الخطابة، إنه عضو في المجلس الاتحادي، عضو بلا حقيبة، إلا أن عينه على منصب وزاري، يأتي هنا كل يوم ليتمرن على الخطب، إلا أنه لا يلقاها، إذ يمنعه الخوف

(صمت. يواصل العراف تفحص العضو)

يا للمسكين (يضحك بصوت خفيض ويحول نظره عنه) أوهو! لقد كدت أنسى الأخ شومة. لا بد أنه الآن قد أوسع زوجته ضربا، وهذا يعني للأسف أنني خسرت، فقد اكتفى ولم يعد بحاجة إليّ، صحيح أنه لا يزال يريد أن يصبح موظفا كبيرا، إلا أنني خسرت كواحد من أشد الأتباع اعتمادا علي... لا بأس، على كل حال فقد كان

ثمنا جيدا مقابل التخلص من دائتتي...

(يعود إلى العضو)

أما هذا... فهو واحد من رعيتي بالفعل، إنه لا يعرف ذلك بالطبع، غير أنه أحد الأتباع. وكل ما أحтаجه هو أن أطلبه، أن أدعوه وأقول له، عزيزي عضو البرلمان، منصبك بانتظارك... أم أنك تشك في ذلك؟ راقبوني وأنا أعمل على استمالته.

(يرفع صوته) يا أخي في المسيحية!

(يتوقف العضو وينظر حواليه ثم يواصل خطابه)

يا أخي العزيز، ألا أعرفك؟

(يتوقف العضو وينظر حواليه ثانية)

نعم أنت، بالله عليك ألا أعرفك؟

(يتقدم العضو ببطء)

تماما. أنت الرجل بعينه، وقد أتيت كما

قالت النبوءة. لعلك تذكرني.

(ينظر العضو إليه باحتقار)

إذن لست من معشر الله. لقد التقينا في عالم

آخر، وفي جسد آخر، وكانت رسالتني لك...

(يدير له العضو ظهره بتبرم)

العضو (بكثير من الخيلاء): اذهب وجرب

حيلك على غيري من السذج.

(بلطف فائق، وهو يبتسم): الأمر واضح

حقا. لست من معشر الله، إلا أن حكمة الرب

جـيـرو:

الخافية علينا قد قضت بأن يخلصك بنعمته...
أيها الوزير... يا وزيراً بفضل الله...

(يقف العضو كأن على رأسه الطير)

نعم يا أخي، لقد التقينا. لقد رأيت هذه
البلاد غارقة في الفتنة، ورأيت حشداً من
الرجال اجتمعوا لتحقيق السلام بالقوة. وفي
غرفة كبيرة مذهبة، رأيت عظماء هذه الأرض
جالسين إلى مكاتبهم ينتظرون قرارك،
ومبعوثي أمم أجنبية واقفين بانتظار كلمة منك،
وعلى الباب المفضي إلى مكتبك قرأت الكلمات:
وزير الدفاع...

(يستدير العضو ببطء)

... إنه مركز من مراكز القوة، ولكن هل أنت
من معشر الله؟ بل هل أنت جدير بالمنصب؟ هل
علي حين أنظر إلى روحك كما أمرني الرب، أن
أدعو بأن يرفع الرداء عن كتفك ويضعه على
رجل أكثر تقوى منك؟

(يتقدم العضو دون وعي منه، فيشير إليه)

العراف بأن يبقى حيث هو)

يتحدث ببطء

نعم... أظنني رأيت إبليس في عينيك. أراه
وقد تمكن منك (ينتاب الخوف العضو فيرفع
يديه في شبه تضرع)

سيكون لوزير الدفاع أقوى المناصب في
البلاد، والرب خير من يعلم، وعلى الإنسان أن
يتدخل عند اللزوم، إن بوسعنا أن نصل إليه
بالصلاة والصيام... وبوسعنا أن نزكي البعض
لديه... يا أخي، هل أنت من معشر الله، أم
أنك من أعدائه؟

(يتلاشى صوت جيروم بالتدريج ويخفت
الضوء المسلط عليه، فيما يسمع صوت آخر،
هو صوت شومة، وذلك قبل أن نرى صاحبه
بفترة طويلة.

يدخل شومة من أسفل الخشبة من الجهة
اليسرى وهو يحدث نفسه بكثير من
الاضطراب).

شومة:

لم... لماذا، لماذا، لماذا، لماذا يفعل بي هذا؟
لعامنين لا يتركني أضرب المرأة. لماذا؟ الله لا
يحب هذا. هذا لن يخدعني بعد الآن. ما هو
رجل الله. يقول ينام على الشاطئ في المطر
والبرد. ولكنه كذاب كبير، الرجل عنده بيت
وينام فيه كل ليلة، ولكنه مرتاح في منزله،
فلماذا لا يريحني في منزلي؟ ماذا فعلت له؟
ولكن كيف التقيا؟ أين؟ متى؟ متى عرف
زوجتي؟ لماذا يحميها مني؟ يمكن لأن زوجتي
تعطيه لحما، وهو يعدها بأن يقول لزوجها لا

تضربها. آها! تعطيه ثيابا، تعطيه أكلا. وكل
الضرورات والحاجات، وفي المقابل لا يترك
زوجها يضربها... إم م م م ...
(يهز رأسه)

لا، غير ممكن. لا أصدق ذلك. إذن هكذا،
كيف يتشاجران؟ لماذا تقعد أمام البيت وتريد
النقود. لم أكن أضربها بعد...
(يهز رأسه)

لطفك يا رب! يا أحمق يا شومة. يا إلهي،
لقد دُمرت حياتي. يا إلهي، ليس في عيني
رأس. إنها كذبة، كذبة كبيرة. إنه غش. غشتتي
هذه الشريرة. لا تريد أن تجمع شيئا، ولا تنام
خارج البيت، العراف عشيقها، وعندما يجيء
الليل تدخل هناك وتلتقي الرجل. يا الله، لماذا
تزعجني هكذا؟ هل أغضبتك؟ شومة يا أحمق،
لقد دُمرت حياتك. نعم، نعم... آه آه، نعم. لقد
هدموا شومة في كل حياته... نعم... نعم...

(يخرج، وتتلاشى صيحاته خارج الخشبة. في
أعلى الخشبة، يسلط الضوء ببطء على جيرو،
ويرى العضو الآن راكعا عند قدمي الأخ جيرو،
وقد أغلق قبضتيه ورفع عينيه إلى السماء).

(يزداد صوته ارتفاعا): احفظه يا رب.

احفظه حين يتولى قيادة هذه الأمة على خطى

جيرو:

سيكون لوزير الدفاع أقوى المناصب في
البلاد، والرب خير من يعلم، وعلى الإنسان أن
يتدخل عند اللزوم، إن بوسعنا أن نصل إليه
بالصلاة والصيام... وبوسعنا أن نزكي البعض
لديه... يا أخي، هل أنت من معشر الله، أم
أنك من أعدائه؟

(يتلاشى صوت جيروم بالتدريج ويخفت
الضوء المسلط عليه، فيما يسمع صوت آخر،
هو صوت شومة، وذلك قبل أن نرى صاحبه
بفترة طويلة.

يدخل شومة من أسفل الخشبة من الجهة
اليسرى وهو يحدث نفسه بكثير من
الاضطراب).

شومة:

لم... لماذا، لماذا، لماذا، لماذا يفعل بي هذا؟
لعامنين لا يتركني أضرب المرأة. لماذا؟ الله لا
يجب هذا. هذا لن يخدعني بعد الآن. ما هو
رجل الله. يقول ينام على الشاطئ في المطر
والبرد. ولكنه كذاب كبير، الرجل عنده بيت
وينام فيه كل ليلة، ولكنه مرتاح في منزله،
فلماذا لا يريحني في منزلي؟ ماذا فعلت له؟
ولكن كيف التقيا؟ أين؟ متى؟ متى عرف
زوجتي؟ لماذا يحميها مني؟ يمكن لأن زوجتي
تعطيه لحما، وهو يعدها بأن يقول لزوجها لا

تضربها. آها! تعطيه ثيابا، تعطيه أكلا. وكل
الضرورات والحاجات، وفي المقابل لا يترك
زوجها يضربها... إم م م م ...
(يهز رأسه)

لا، غير ممكن. لا أصدق ذلك. إذن هكذا،
كيف يتشاجران؟ لماذا تقعد أمام البيت وتريد
النقود. لم أكن أضربها بعد...
(يهز رأسه)

لطفك يا رب! يا أحمق يا شومة. يا إلهي،
لقد دُمرت حياتي. يا إلهي، ليس في عيني
رأس. إنها كذبة، كذبة كبيرة. إنه غش. غشتتي
هذه الشريرة. لا تريد أن تجمع شيئا، ولا تنام
خارج البيت، العراف عشيقها، وعندما يجيء
الليل تدخل هناك وتلتقي الرجل. يا الله، لماذا
تزعجني هكذا؟ هل أغضبتك؟ شومة يا أحمق،
لقد دُمرت حياتك. نعم، نعم... آه آه، نعم. لقد
هدموا شومة في كل حياته... نعم... نعم...

(يخرج، وتتلاشى صيحاته خارج الخشبة. في
أعلى الخشبة، يسلط الضوء ببطء على جيرو،
ويرى العضو الآن راكعا عند قدمي الأخ جيرو،
وقد أغلق قبضتيه ورفع عينيه إلى السماء).

(يزداد صوته ارتفاعا): احفظه يا رب.
احفظه حين يتولى قيادة هذه الأمة على خطى

جيرو:

أجداده العظام. فهو يتحدر من محاربي هذه
الأرض البواسل، إلا أنه بسذاجته لم يكن عالما
بميراثه، ولكنك عالم بكل شيء، مدبر لكل
شيء. لا بداية لك ولا نهاية...

(يقتحم شومة المكان ويبيده سيف يلوح به)

أيها الزاني! يا حرامي النساء! نهايتك اليوم
على يدي

(ينظر جيرو حواليه)

اللهم احفظنا (يفر هاربا).

(غير واع بما يجري): آمين.

(شومة يلاحق جيرو إلى خارج الخشبة،

وقد صمم على قتله)

آمين. آمين (يفتح عينيه) شكرا أيها العرا...

(ينظر يمينا ويسارا، أماما وخلفا، فيجد أن

العراف في الحقيقة قد اختفى) أيها العراف.

(يستدير بحدة وسرعة في كل الاتجاهات،

صائحا) أيها العراف، أين أنت؟ أين ذهبت؟

أيها العراف! لا تتركني أيها العراف، لا تتركني.

(ينظر إلى الأعلى ببطء وخشوع)

لقد اختفى ولقد عرفت ذلك، عرفت أنني

كنت واقفا بين يدي قوة خفية...

(يحني رأسه وهو واقف. يدخل جيرويم وهو

متمالك لنفسه تماما ويشير إلى تابعه الجديد).

شومة:

جيرو:

عضو برلمان:

عضو برلمان:

جيروبيم:

لقد سمعتموه، سمعتموه بأذانكم. وبحلول
الغد ستتحدث البلدة كلها عن معجزة اختفاء
الأخ جيروبيم. ومن يؤكد لها ويشهد عليها؟ واحد
من حكام هذا البلد المنتخبين...

عضو برلمان:

(يتوجه ليجلس على الكومة): علي أن أنتظر
عودته. إذا أبدت إيماني فسوف يظهر لي مرة
أخرى... (ما أن يهم بالجلوس حتى يهب واقفا)
هذه أرض مقدسة (يخلع حذاءه ويجلس.
ينهض ثانية) لا بد أن أسمع منه المزيد. لعله
ذهب ليعلم المزيد عن هذا المنصب الوزاري...
(يجلس).

جيروبيم:

لقد أرسلت في طلب الشرطة وانتهى
الأمر. يؤسفني ما سيحدث لشومة، إلا أنه
أخافني، والعراف لا يحب أن يخيفه أحد.
وباستخدام نفوذ هذا الأبله سوف أتمكن
بسهولة من استصدار شهادة تثبت أنه
مجنون. ستتفعه سنة في مستشفى الأمراض
العقلية على كل حال.

(العضو يهوّم من النعاس)

جيد... إنه يستسلم للنوم. وحين أظهر له
ثانية فسوف يظن أنني هبطت من السماء،
وعندها فسوف أخبره أن إبليس قد أرسل
واحدا من أعوانه إلى العالم تحت اسم شومة،

وأن من الأفضل له أن يضعه في قميص
المجانين في الحال... وهكذا أنجو بجلدي
وسياتيني رجال الشرطة حالما يلقون القبض
على شومة. وإذن يبدو أنه لم يحن الوقت بعد
للتحقق نبوءة ذلك الحاقد.

(يلتقط حصاة ويلقيها على العضو. وفي
الوقت نفسه تتراقص على رأسه حلقة ذات لون
أحمر أو لون فاقع آخر، مشكلة ما يشبه الهالة.
يفيق العضو مجفلا ويحدق فاغرا فاه، ثم يخر
منبطحا على وجهه، هامسا وهو مستغرق في
خشوع تام).

«سيدي»

عتمة النهاية

هوامش محنة الأخ جيرو

- ١ قضيب معدني مستدق الطرف، يبلغ طوله حوالي ١٨ إنشا، طرفه الثخين مثني على شكل حلقة.
- ٢ جماعة دينية أُسست في نيويورك في عام ١٨٧٢، تؤمن بفساد كل الأنظمة الدنيوية، وتتنبأ بقدوم حكم إلهي مطلق في مملكة الله التي ستؤسس بعد عودة المسيح ونهاية العالم.
- ٣ نوع من أنواع الموسيقى الشعبية التي انتشرت في غرب أفريقيا ونيجيريا في الستينيات، وتأثرت بالموسيقى الشعبية الغربية، الروك والبوب، والموسيقى الأفريقية المحلية.
- ٤ السرافيم والكرايم من طبقات الملائكة في الكتاب المقدس.
- ٥ الأوفالتين هو مسحوق يتكون أساسا من الكاكاو، ويمزج عادة مع الماء الساخن ليشكل شرابا يشبه الشوكولا الساخنة.
- ٦ عشتار (أو عشتورَت في لفظ العهد القديم) هي آلهة فينيقية قديمة. وتروي التوراة أن الرب (إله إسرائيل) مزق مملكة سليمان «لأنهم تركوني وسجدوا لعشتورت إلهة الصيدونيين» (ملوك ١ : ١١ : ٢٣). كما أن بعل أيضا من الآلهة السامية القديمة، وتروي التوراة أن بني إسرائيل تحولوا إلى عبادته أكثر من مرة.
- ٧ كانت إيزابل ابنة أثبعل ملك الصيدونيين، وعندما تزوجها أخاب بن عمري، ملك إسرائيل، أقام معبدا لبعل وعبدته وسجد له (ملوك ١ : ١٦ : ٢٩ - ٣٣).

(٢) تحوُّلُ الأخ جيرو

المشهد الأول

الشخصيات

الأخ جيرو

الأخت ريبكا

أنانيس

المسؤول الإداري الرئيسي

كاتب المجلس السياحي

شومة

الرائد سيلفا

شادرش

كالب

إيساك

ماثيو

شرطية

وغيرهم من عراقي الشاطئ

مكتب الأخ جيرو، الذي لم يعد نفسه الكوخ الذي مزقته المشاكل في «محنة الأخ جيرو». فهو الآن يتكون من غرفة متواضعة مبيضة ومريحة تماما. ثمة خزانة صغيرة موضوعة بعناية في زاوية الغرفة، وكذلك منضدة مغطاة بقطعة قماش وعليها آلة كتابة عتيقة ومتداعية تعود إلى أقدم طراز يمكن تخيله، إلا أنها لا تزال تعمل. أنية أزهار، والتشكيلة المعهودة من معدات المهنة: الإنجيل، وكتاب الصلاة، ورداء القديس... إلخ. على الحائط صورة ذات إطار كبير تمثل شخصا في لباس عسكري وأمامه حشد من الميكروفونات، مما يدل على أن أبرشية جيرو لم يعد يحكمها أصدقائه القدامى من الساسة المدنيين.

يملي جيرو ما يقوله وهو يتمشى في أرجاء الغرفة، بينما يبدو واضحا أن تفكيره مركز في هذه الصورة. هناك فتاة رزينة، وجذابة تماما، جالسة إلى طاولة تتلقى ما يمليه عليها.

... وخلق بنا في وقت الشدة أن نتداعى لننسى عداواتنا القديمة، ونغمد سيوفنا في صدر عدو مشترك... لا، الأفضل حذف هذه العبارة، فهي تبدو غير مسيحية إلى حد ما، أليس كذلك؟

جيرو:

رببيكا: (صوتها وأسلوب كلامها ينمان عن إعجاب لا حد له): هذا ما لم يكن لك رأي آخر يا أخ جيرو.

جيرو: في الواقع، لا بد من الحرص في التعامل مع إخواننا العرافين، فبعضهم قد يفهم العبارة بشكل حرفي. يكفي مظهر بعضهم، ناهيك عن ماضيهم السري، بل وحاضرهم السري... آه. حسنا، توقفي عند «نغمد سيوفنا».

رببيكا: الرأي رأيك أخ جيرو.

جيرو: لا أقصد أن هذا سيثير أسفي، إذ لن يضيرنا أن ينتقل بعض أحبائنا الأعزاء من العرافين على هذا الشاطئ إلى دار الخلد. وإذا ما اختاروا حبل المشنقة طريقا لهم، أو فضلوا اختصار طريقهم إلى السماء بمواجهة كتيبة الإعدام في استعراض باربيتش (Bar Beach Show)⁽¹⁾، فمن نحن لنعارض هذا الحل الإلهي؟ المشكلة الوحيدة أن هذا قد يسيء إلى سمعة الباقيين منا.

رببيكا: لا شيء يمكن أن يسيء إلى سمعتك يا أخ جيرو، أنت غير الآخرين. لا شيء يمكن أن يشوه صورتك، أنا أعرف هذا.

جيرو: أنت لطيفة حقا يا أخت ربيكا، لا أدري ماذا كنت سأفعل من غيرك.

ريبيكا: لن تكون من دوني أبدا يا أخ جيرو، سأبقى هنا ما دمت بحاجة إليّ.

جيرو: (هذا الاحتمال يقلقه): أشكرك يا أختاه. والآن علينا العودة للعمل، اقرئي آخر ما أمليته عليك.

ريبيكا: ... وخليق بنا في وقت الشدة أن نتداعى لننسى عداواتنا القديمة ونغمد سيوفنا في صدر... لا، لقد توقفنا عند «عداواتنا».

جيرو: جيد. ولذلك فقد قررت استدعاءكم... لا، «دعوتكم» أفضل، أليس كذلك؟ فكلما ازدادوا بؤسا وجدتهم أشد كبرياء وحساسية. فالكبرياء يا أخت ربيكا، وحش يفترس الفوغاء. فما أن يظهر ثقب في رداء الفقير حتى تسده رقعة الكبرياء. شأن الطبيعة في شدة مقتها للفراغ.

ريبيكا: أوه يا أخ جيرو! ما أروع ما تتطق بالحكمة.

جيرو: ليست لدي إلا مواهب محدودة يا أخت ربيكا، إلا أنني أستخدمها على أفضل وجه. نعم، فلتكن العبارة: بعد كثير من الصلاة طلبا للإرشاد، ألهمني الله أن أدعوكم جميعا إلى اجتماع نقف فيه متساوين أمام الله، ونتداول لإيجاد وسيلة لمواجهة التهديد الذي يحيق بمهنتنا. وكلّي ثقة أنه في سبيل مصلحتنا

المشتركة. ضعي خطأ سميكا تحت هذه العبارة.
أنه في سبيل مصلحتنا المشتركة، فإن جميع
رعاة الرب الذين تقع مراعاتهم على هذا
الشاطئ، شاطئ رملي ولكنه صالح للزراعة،
سيحرصون على حضور الاجتماع.

(يهز رأسه كأنما يجلو فكره، ثم يتجه
إلى خزانة صغيرة ويخرج منها قنينة
ويصب منها شراباً).

جيرو: الحقد مرير يا أخت ربيكا، والعبء
ثقيل علي.

ربيكا: لا بد من فعل ذلك يا أخ جيرو، والغاية
تبرر الوسيلة.

جيرو: كيف أتآخى مع هؤلاء القتلة ومروجي
المخدرات، المهربين وتجار البضائع المسروقة؟
هل تعلمين أن بعضهم من أرباب السوابق؟
وبعضهم الآخر جاء دوره في استعراض
«باربيتش» منذ زمن بعيد.

ربيكا: وهذا ما يؤكد نبلك في تجاوزك لكبريائك
 واجتماعك معهم في خدمة الله.

جيرو: (يقدم لها كأساً): هل تشاركينني يا أخت
ربيكا؟

ربيكا: لا يا أخ جيرو، ولكن يجب أن تشرب أنت.

جيرو: هل أنت واثقة أنه لا خطأ في هذا؟

ريبيكا: كل الأشياء نعمة من الله ولا خطأ في استخدامها بتعقل.

جيرو: أنت مصدر راحة كبيرة لي يا أخت ربيكا، فالوقت وقت محنة بالفعل. صدقيني ليس هذا وقت أنصاف الحلول.

ريبيكا: يا أخ جيرو، لقد وعدت.

جيرو: آه، لم أقصد هذا النوع من أنصاف الحلول (يلقي بكأس الشراب).

ريبيكا: اعذرني، أنا.

جيرو: خطأ طبيعي، لا، لقد كنت أشير إلى مأزقنا الحالي. إذا ما أردنا النجاة، فنحن بحاجة إلى تكتيكات متكاملة.

ريبيكا: أعرف أنك ستجد مخرجاً.

جيرو: يبدو لي أننا وقد رفعنا أنظارنا إلى السماء طلباً للعون، فقد تجاهلنا الإلهام المتاح لنا في هذه الدنيا. نعم، لقد تجاهلناه بالفعل.

ريبيكا: وهل في الدنيا ما تقدمه للمسيحي الحق يا أخ جيرو؟ لطالما قلت أنت نفسك.

جيرو: كان ذلك قبل أن أقرأ هذا الملف الثمين الذي جئتي به عربونا لمحبة المسيح، دودة لا مثيل لها في تاريخ الزيجات الروحية يا أخت ربيكا. وقبل...

(ينزل الصورة من على الجدار ويتفحصها
وذراعه ممتدة إلى آخرها وهو يهز رأسه برضا).
أجل، أظننا تجاهلنا مصادر الإلهام
الدنيوية.

ولكن يا أخ جيرو.	ريبيكا:
ثقي بي يا أخت ربيكا.	جيرو:
أنا أثق بك يا أخ جيرو. أنا أثق بك.	ريبيكا:
صوت الشعب هو صوت الله، هل كنت تعرفين ذلك يا أختاه؟	جيرو:
أنا أثق بك. وأتبعك حيثما تقودني يا أخ جيرو.	ريبيكا:
وسأقودك إلى الأمان، أنت وكل من يضع ثقته بي.	جيرو:
أرشدني يا أخ جيرو.	ريبيكا:
(يعلق الصورة): وزعي هذه الدعوات في الحال، واذهبي إلى الترنزي الذي أتعامل معه وأخبريه أن يسلم الطلبية اليوم. حين تأتي اللحظة المناسبة، سوف يتكشف كل شيء.	جيرو:
أنا معك حتى النهاية.	ريبيكا:
حين يسلم الخياط الطلبية، سوف تفهمين.	جيرو:
(تنظر إلى ما دونته): أنت لم تحدد موعدا للاجتماع.	ريبيكا:
الليلة يا أختاه، الساعة الثامنة. ليس لدينا وقت نضيعه.	جيرو:

(يتناول رداء القداس ويرتبه في طيات حول
الرقبة، وكذلك العصا المقدسة والإنجيل...
إلخ. ثم يتناول الملف ثانية ويفتحه عند إحدى
الصفحات ويبتسم وهو يهز رأسه برضا،
ويريت على الملف برقة).

جـيرو: سلاحنا السري يا أخت ربيكا، ويجب أن
نحرص عليه.

ريبيكا: أنت خارج يا أخ جيرو؟
جـيرو: لإعداد الترتيبات يا أختاه، الترتيبات. إذا كان
من الواجب دخول هذه المعركة، فهناك حليف لا
غنى لنا عنه. يجب أن أذهب للبحث عنه.

(يتوقف. ابتسامة طيبة)

غير أننا سنفوز يا أخت ربيكا. لأن
أفضل الحلفاء إلى جانبي. هنا في هذه
الغرفة. (يهم بالخروج فيتردد، ويتجه نحو
آنية الزهور ويرفعها إلى وجهه، ويتشممها
بلطف وعيناه مغمضتان).

وأشكرك لأنك أنرت كوكبي المتواضع
بهذه الأزهار، تماما كما أضأت حياتي
بمصباحك الروحي.

(يخرج في الحال، تاركا الأخت ربيكا
لمشاعر الخجل والبهجة والاضطراب والتشوش
في آن واحد.

ما أن يصير في الخارج حتى ينسل حول
جانب الكوخ ويراقبها من خلال النافذة. من
الواضح أن حالة المرأة تشير غبطته، إذ إنه
يصلح هندامه ويمضي بخطوات أكثر خفة.
وعندها يواجه أحد زملائه، أنانيس، وهو عينة
من القسم الأكثر فقرا من الإخوة العرافين إلا
أنه ممتلئ الجسم كالبرميل).

أنانيس: ما الذي تفعله الآن يا جيرو؟ تتجسس على
كوخك الصغير؟

جيرو: (يمسك أنانيس بيديه ويجره بعيدا عن
المكان) إش.إش.إش.

أنانيس: أبعد يدك عني. (يتخلص منه بسهولة إلا
أنه يلحق به) قل لي من عندك في الداخل،
مندوبو المحكمة؟

جيرو: مندوبو المحكمة مثلهم مثل كل الخطاة يلقون
الترحاب في كنيسة يا أخ أنانيس. إلا أنني لا
أرحب بهم في مسكني المتواضع.

أنانيس: كفاك من هذا الهراء الروحي. أنا أعرفك.

جيرو: ماذا تعرف عني بالضبط يا أخي؟

أنانيس: هيا اعترف. إنهم مندوبو المحكمة، أليس
كذلك؟

جيرو: مندوبو المحكمة لا يستطيعون حتى معرفة
عنواني يا أنانيس.

أنانائيس: هذا لأنك رجل ذكي. هذا لا ينكره عليك حتى أعدى أعدائك.

جيرو: هل تتفضل بالقول ما الذي جاء بك إلى هنا؟ أنا رجل مشغول.

أنانائيس: حسنا إذن. جئت أقول لك إنك ستحتاج كل ما لديك من دهاء في القريب العاجل. لقد اتخذ مجلس المدينة قرارا نهائيا وسوف يطردنا من هذا المكان، جميعا حتى آخر واحد من أبناء الشيطان المنافقين.

جيرو: هذا خبر قديم يا أنانائيس. وهو طبعاً لا يشكل أي أهمية للبعض منا، فالرب يتولاهم. أما من ليس لديهم رسالة حقيقية... مثلك.

أنانائيس: قلت رسالة. لا يمكنك أن تدرك ما يعنيه ذلك. الشاطئ بالنسبة إليك وسيلة لتحصيل الرزق لا غير. وأنت من جانبك لم تقصر فيما ألاحظ.

جيرو: يقول الكتاب إن الله الكريم يعطي من يخدمه بإخلاص. ماذا ستفعل حين تستيقظ ذات صباح لتجد نفسك وجها لوجه أمام جرافة؟

أنانائيس: (يشد عضلاته): فليحاولوا فقط. فليحاولوا.

جيرو: المصارعة شيء والجرافة شيء آخر. حتى أنت لا تستطيع مصارعة الجرافة. وعلى فكرة أنت لم تعد شاباً.

أنانائس:

وهل أنا أبله؟ هناك رجل يقود هذه الوحوش
الخرقاء، أليس كذلك؟ سادع العربية وشأنها
وأجره إلى الخارج من قفا رقبتة، وحين أغمره
في البحر عدة مرات سيخرج مسيحيا طيبا
ويتعلم كيف يترك العرافين المباركين في حالهم.
ليست هذه طريقة محاربتهم.

جيرو:

أنانائس:

ما هي الطريقة إذن؟ أن نقف متفرجين،
وندعهم يخرجوننا من هذه الأرض، أرض
الحليب والعسل؟ لقد كانت أحوالي على ما
يرام قبل أن يختارني الله للدخول في خدمته.
تركت كل ذلك مقابل هذا القفر الياب، والآن
لا أستطيع حتى اعتباره أرضي؟

جيرو:

أنانائس:

منذ لحظة كانت أرض الحليب والعسل.
حليب وعسل من ثمار الروح طبعاً، وما عدا
ذلك فهو قفر يباب. انظر إليها بنفسك.

جيرو:

العنف لن يفيدنا. سأعقد اجتماعاً لمناقشة
هذه المسائل، وسيعيننا الرب في إيجاد حل.

أنانائس:

تعد اجتماعاً هناك شيء في جعبتك وإلا
لما سعيت إلى عقد اجتماع. هيا اعترف، فلنكن
شركاء، أنت وأنا.

جيرو:

أنانائس:

الآن، وإلا ذهبت إلى الغرفة وأخبرت من
فيها أنك كنت مختبئاً تتجسس عليهم. سأصبح

وأخبرهم أنك في هذا المكان.

هيا إذن، اذهب.

أنت تخدعني دون شك.

إذن أتحداك أن تكشفني. وحين تنتهي
المعركة ونفوز بحقوقنا فسوف أطرّدك من
الشاطئ دون أن يرف لي جفن.

لا تستطيع أن تفعل ذلك بي، فأنا صاحب
حق في هذا المكان، مثلك تماما.

لا، أنت لاحق لك.

لا تستطيع أن تفعل هذا، أنا رجل
مبارك، مثلك.

(باحقار): مصارعة. هل كنت تصارع في
سجون كيري كيري؟

(يفلق فم جيرو بيده ويتلفت حوله بهياج):
يا لك من شيطان رجيم، كيف توصلت إلى
معرفة ذلك؟

أنا أعرف.

(فجأة): وماذا في ذلك؟ مارست بعض
الصوصية قبل أن يجروني إلى السجن،
ولكنني استقمت منذ ذلك الحين. كنت أكسب
رزقي بالمصارعة مقابل التبرعات باستقامة
وشرف، ثم لبیت نداء الرب وعرفت طريق
التوبة، ما العيب في مذهب تائب؟!

جيرو:

أنانيس:

جيرو:

أنانيس:

جيرو:

أنانيس:

جيرو:

أنانيس:

جيرو:

أنانيس:

جيرو:

مذنب تائب؟ (همهم). إذن لم يحدث أبدا أن عملت بلطجيا لرجل أعمال معين في الأسبوع الماضي بالذات، أليس كذلك؟ حرب تجارية حول احتكار تجارة الويسكي. ويسكي يا أنا نايس؟ ويسكي؟

أنانايس:

(بكبرياء): أستمحك عذرا يا أخ جيرو؟ أنا لم أكن بلطجيا في أي فترة من حياتي. بل حارس شخصي، نعم. كنت حارسا شخصيا. وإذا كان هناك أي إنسان ينكر أنها مهنة محترمة ومعترف بها عالميا، فدعني أره. دعني أره فقط.

جيرو:

لا تزال لدى الشرطة بصمات الرجل الذي أشعل النار في متجر أحد المنافسين التجاريين، حيث راحت قناني الشرب تنفجر طوال الليل موقعة إصابات بين الأبرياء. وهذا المجرم الحقيير الغبي الأخرق، هذا الجلف الضخم الجثة الفارغ العقل، ترك بصمة إبهام كبيرة على وعاء الكيروسين، ثم قذفه على كومة قاذورات قريبة منه. كما أنهم علموا أن هذه البصمة الضخمة القذرة تطابق بصمة إبهام سجين سابق معين. الشيء الوحيد الذي لا يعرفونه هو مكان اختبائه بعد جرائم الحريق والجرح المخالف للقانون والشروع في القتل.

أنانائيس:

(يبلغ ريقه بصعوبة): يا أخ جيرو.

جيرو:

حتى وعاء الكيروسين كان مسروقاً من
متجر مجاور، وهذا سطو. هل تستخدم العنف
أيضاً يا أخ أنانائيس؟

أنانائيس:

أقسم بالله يا أخ جيرو.

جيرو:

يعرف عنك أنك رجل عنيف، فيمكن لمثل
الادعاء أن يجعلها سطوا بالإكراه، وأنت تعرف
معنى ذلك.

أنانائيس:

أريد أن أقول يا أخ جيرو أنك تقسو على
إنسان مثلي. أنت نفسك تعرف أن العمل
راكد... وعلى الإنسان أن يأكل.

(يتركه جيرو يتلوى بعض الوقت)

جيرو:

الليلة في الاجتماع سوف أتقدم بخطط معينة.

أنانائيس:

سوف أؤيدك يا أخ جيرو. اعتمد على
صوتي في وقت. (يزداد حماسه) وإذا كان
هناك من تريد أن تمرغ رأسه بالتراب لإثارته
المشاكل.

جيرو:

شكراً، لا أريد أساليبك العنيفة (يذهب) وابق
بعيدا عن هذا المكان حتى موعد الاجتماع.

أنانائيس:

(يركض وراءه): يا أخي يا أخي.

جيرو:

حسن؟

أنانائيس:

يا أخ جيرو، هل تقرضني شلناً أو شلنين
حتى الاجتماع؟ أنت تعرف أنني ما كنت

لأسأل لولا... أنت ترى الوضع بنفسك. لم تكن الأمور على ما يرام في الآونة الأخيرة، ليست هناك أي تبرعات إطلاقاً. لقد تضاعف عدد المصلين إلى الصفر. وحتى من يجيئون لا تأتيهم منهم إلا قصة مشاكلهم العائلية لم يعودوا يدفعون العشر.

جـيرو:

لقد كنت طماعاً، يا أخ أنانايس. لو أن كل واحد من مائة مصل دفع عشرة في نهاية كل شهر فسرعان ما سوف يلاحظ أن عشرة من كل مصل يعني أضعاف ما يكسبه كل منهم بمفرده. وكل هذا لرجل واحد، هو أنت. ولذلك توقفوا عن المجيء.

هـه؟

أنانايس:

نعم، هكذا خسرت رعييتك القلائل.

جـيرو:

من مائة إلى الصفر.

أنانايس:

من مائة إلى الصفر، عدا من يأتون للاستدانة.

جـيرو:

ولكن كيف حدث أن دخلت عقولهم هذه

أنانايس:

الفكرة؟ إنها ما كانت لتخطر لي على بال.

(يناول شلناً): ربما أدخلها شخص ما في

جـيرو:

عقولهم. طاب يومك يا أنانايس.

هـه؟

أنانايس:

(من الجانب المقابل، يظهر كبير المسؤولين

التفiziين للجنة السياحية للمجلس البلدي

بهيئة شعناء ومغبرة وهو يخرج من مكان
اختبائه يتبعه كاتب اللجنة وشرطية. يختبئ
أنانايس ويراقب).

الكاتب:

هذا هو المكان يا سيدي.

المسؤول:

(ينفض الغبار بفرشاة عن بذلته وقبعته
السوداء المستديرة وهو غاضب، ويساعده
الكاتب): لقد حان الوقت وسوف أتعامل بحزم
معكم جميعا، أنتم من عرضني لهذه المغامرات
المخزية. أقطع كل هذه المسافة ليس لأخسر
ملفا سريا فحسب، بل وسكرتيرة مؤتمنة أيضا.
لماذا يقع عبء استردادها على عاتقي أنا؟

الكاتب:

هذه هي الطريقة الوحيدة يا سيدي.

المسؤول:

لا تنس أن ما لا يتفق مع كرامة الإنسان، لن
يكون هو الطريق الوحيد أبدا.

الكاتب:

في سبيل تحقيق نتائج يا سيدي.

المسؤول:

كف عن مجادلتني من فضلك. ليس من
طبيعتي التواري والاختباء من أحد فما
بالك بدجال. أنا أفضل أن أواجهه مباشرة،
حتى لو كان الشيطان ذاته.

الكاتب:

أرجوك يا سيدي فلندخل وننه عملنا. قد
يعود في أي وقت.

المسؤول:

أتخطط لأن أهرب من النافذة إذا عاد
بشكل مفاجئ؟

الكاتب:

لا شيء من هذا القبيل يا سيدي، لا شيء
من هذا القبيل. كل ما أقوله أن الوقت من
ذهب فها ندخل يا سيدي.

(يدق على الباب، إلا أن المسؤول التنفيذي
يقتحم المكان وتبدو ربيكا مجفلة لدخولهما.
يزحف أنانيس مقتربا، فيما تنتظر
الشرطية قرب الباب).

المسؤول:

هل هذه هي المرأة؟

الكاتب:

نعم يا سيدي. آنسة دنتن، هذا المسؤول
التنفيذي للجنة السياحية للمجلس البلدي.
الآنسة دنتن يا سيدي.

المسؤول:

آنسة دنتن.

ربيكا:

اسمي ربيكا.

المسؤول:

لا أصدق أن أسماعنا تتوافق كأبناء للمعمودية.

ربيكا:

بل إنني لا أصدق أنك على أي وفاق مع

المسيحية. إن روحك في خطر.

المسؤول:

(يتميز غيظا ثم ينفجر): حالتني الدينية

ليست من شأنك أيتها الشابة.

ربيكا:

بل إنها من شأني يا سيدي، فأنا حارسة

لأخي^(٢)، وحالة روحك تحزنني.

الكاتب:

هكذا كانت البداية يا سيدي، هكذا كانت

البداية.

المسؤول:

بداية ماذا؟

الكاتب:

هكذا أخذها العراف. فهو أصلا لم يكن يخاطبها على الإطلاق، بل كان يخاطب مسؤول الإخلاء الرئيسي الذي جاء يعطيه إنذارا. لقد أخذ يعظه دون انقطاع، إلا أنها هي التي تلقت الرسالة. بحق المسيح يا سيدي، ليتك رأيت التشنجات التي أصابتها.

المسؤول:

ولماذا جاء بها أصلا بحق الجحيم؟

ربيبكا:

جحيم بحق يا سيدي لقد كنت أعيش في جحيم دون أن أعرف ذلك، إلى أن جاء الأخ جيرو وأرشدني إلى طريق الله.

المسؤول:

لم أكن أخاطبك يا امرأة.

الكاتب:

لقد كانت سكرتيرته الخاصة.

المسؤول:

أعلم أنها كانت سكرتيرته الخاصة.. لعنك الله.

ربيبكا:

لا لن يلغنه الله يا سيدي، فالله رحيم.

المسؤول:

ألا يستطيع أحد إسكات هذه المتدينة المهووسة؟ لقد سألت لماذا يأتي بها معه؟ هل تراني هنا مع سكرتيرتي الخاصة؟

ربيبكا:

سأجيب أنا عن هذا السؤال. فحين يحصل الإنسان على الخلاص لا يعود خائفا من قول الحقيقة. لقد طلب مني رئيسي الحضور معه لتدوين ملاحظات، إلا أنني كنت أعلم في قرارة نفسي أنه يخطط لإغوائي.

المسؤول:

ماذا! كيف تجرؤين على الافتراء على موظف

حكومي كبير من دائرتي، وفي حضوري؟ سوف
أمر بإجراء تحقيق وأتهمك بال...

الكاتب: لا تفعل ذلك يا سيدي فهذه هي الحقيقة.
لقد كانت عين المسؤول التنفيذي عليها منذ
وقت طويل. لم يكن يتركها وشأنها في المكتب،
ويجعلها تعمل وقتا إضافيا حتى لو لم يكن
هناك عمل تقوم به، فقط ليحاول أن...

المسؤول: يكفي ذلك شكرا؛ لا أريد كل الصورة
مرسومة بألوان فاقعة وقذرة.

الكاتب: نعم يا سيدي، أقصد لا ياسيدي.
ريبيكا: لا يحزنك أمر هذا الخاطئ المسكين، فأنا
أصلي لخلاص روحه كل يوم.

المسؤول: ونحن نصلي من أجل أن تعودني إلى رشدك.
وبداية ما عليك إلا تسليمي الملف الذي
بحوزتك، واحمدي ربك أنني لن أتهمك
بالاتفاظ بملف رسمي بعد ساعات الدوام.

الكاتب: وملف سري، لا تتس ذلك يا سيدي، سري جدا.
المسؤول: صحيح تماما. الملف أيتها الشابة. وسوف
نتغاضى عن الإساءة لأنك لست في كامل
قواك العقلية.

ريبيكا: لم أكن أبدا أعقل مما أنا عليه الآن.
المسؤول: أتسمين ذلك تصرفا عاقلا؟ أنت، شابة
ذكية وسكرتيرة مدربة تدريباً تاماً.

الكاتب: ثمانون كلمة في الدقيقة يا سيدي ومائة وعشرون كلمة اختزال.

المسؤول: هل طلبت منك تقديم إحصائيات؟
الكاتب: عفو يا سيدي، كنت أتحدث عن حجم الخسارة.

المسؤول: إنها خسارة شنيعة طبعاً. ثمانون كلمة في الدقيقة ومائة وعشرون كلمة اختزال. لقد كان لديك من قوة الإرادة ما يكفي لمقاومة تلك التحرشات المقرفة من كبير مسؤولي الإخلاء، هذا الشبق الهائج. كما كنت تحظين بثقة جعلتك تكلفين بمهمة رسمية ذات أهمية قصوى لاقتصادنا القومي، وماذا يحدث: تسمحين لعراف كذاب أن يخدعك، دجال مكشوف.

ربيكا: (بإشفاق): من يتحدث فيك هو الشيطان يا سيدي، الشيطان هو من يجعلك تصف الأخ جيرو بهذه الصفات السيئة.

المسؤول: إنه يستحق أكثر من صفة سيئة، إنه يستحق نهاية سيئة، وسوف يصل إليها يوماً ما.

ربيكا: قاوم الشيطان فيك يا سيدي، ودعنا نساعدك في مقاومته والانتصار عليه.

المسؤول: ألا ترين أن الشيطان هو جيروهم، عليك اللعنة؟ كل العرافين على هذا الشاطئ شياطين.

ريبيكا:

المسؤول:

الشیطان یسیطر علیک یا سیدی، أنا أراه.
لا بد من إخلائهم، فهم یقفون فی طریق
التقدم، ویزحمون الشاطئ ویمنعون الناس
المحترمین من المجيء إلیه والدفع مقابل تسلیة
أنفسهم، إنهم یحولون دون قیام صناعة
سیاحیة كبریة. أنت نفسک تعرفین کیف
تضاعفت قیمة الأرض منذ أن بدأنا عملیات
الإعدام العلنی على الشاطئ.

ريبيكا:

خاطئون عدیمو الحیاء یكسبون ثروتهم من
بلايا الآخرين؟ هل ترضى بأن تجمع المال من
الخطیئة والظلم؟ أوه یاسیدی، یجب أن تدع
الأخ جیرو یحدثك عن الشر الماثل فی
مخططاتكم. فإن جمع المال من الخطیئة
یجلب الخطیئة على سكان مدینتكم. لا سادوم
ولا عامورة ستعانیان ما ستعانیه مدینتكم هذه
حین یحییق بها غضب الله ویمحو أسوارها عن
وجه الأرض.

المسؤول:

ريبيكا:

أسكتها. أسكتها بحق الله.
(بفرح مفاجئ): المجد للرب! هناك تفریر
قد بدأ فیک بالفعل. فأول ما جئت هنا
دعوت الجحیم ولعنت أخاک فی الإنسانیة،
أما الآن فأنت تدعو باسم الله. هالیلویا
هالیلویا هالیلویا. تعال إلی، قال الرب.

نادني باسمي وسوف أجيبك. هاليلويا
هاليلويا. ناده باسمه وسوف يلبي نداءك
تعال إلي، قال الرب، تعال إلي. ابتعد عن
الخطيئة وسوف أطعمك، ابتعد عن القذارة
وسوف أطهرك.

(تتقدم من المسؤول التنفيذى ويدها
مفتوحتان كأنما لتضمه، فيتراجع منسحبا في
أرجاء الغرفة، ولكنها تلاحقه وحالة «الإلهام»
لديها تتزايد).

تخلوا عن المخطط، قال الرب، تخلوا عن
المخطط. ماذا تفيد كل ثروة الدنيا إذا خسر
الإنسان روحه، ماذا تفيد سياراتكم وبيوتكم إذا
كنتم ستحترقون في جهنم. أنقذ هذا الخاطئ
يا رب، أنقذ روحه، أخدم الطمع في قلبه،
أخدم الطمع.

(يحاول كبير المسؤولين الخروج من
الباب، إلا أن أنانيس يخطو إلى الداخل
ويسد الباب وهو يزعم: «هاليلويا»،
فيرمي المسؤول نفسه عائدا إلى الغرفة
ليقع مباشرة بين يدي ربيكا التي تصرخ
«هاليلويا» وتضمه ضمة لافكاك منها،
فتسقط قبعته، وسرعان ما تفارقه
مظلته.

يتراجع الكاتب إلى زاوية الغرفة حين يرى
أنانيس، بينما تحاول الشرطة أن تملص
من أنانيس إلا أنه يلتقطها بيد واحدة
ويحجزها هناك).

أنانيس: وهذه الخاطئة يارب، وهذه الخاطئة.

ريبـيكا: هاليلويا.

أنانيس: من عملها في الخطيئة يارب، من عملها
في الخطيئة.

ريبـيكا: هاليلويا.

أنانيس: عمل الشرطة شرير يا يارب، عمل
الشرطة شرير.

ريبـيكا: هالي هالي هاليلويا (تواصل اللازمة)

أنانيس: أنقذ هذه الخاطئة يارب، أنقذ هذه

الخطئة. احمها من الرشوة يارب، احمها من

الفساد، احمها من المظالم ما ظهر منها وما

خفي، من ممارسات لا تذكر في سمعك.

احمها من الطمع في الترقية والتعطش

للشارات، ومن التلهف للثناء على أعمال تتجاوز

حدود الواجب. احمها من التنفيس على

الأبرياء وإزعاج من يفويهم الشيطان، ومن

التدخل في شؤون الناس ودس أنفها في

أعمالهم البريئة. أخرج أولا الخشبة من

عينك^(٣)، قال الرب.

ريبيكا:

هاليويا.

أنانيس:

الخشبة أولا من عينك.

ريبيكا:

هاليويا.

أنانيس:

الخشبة أولا من عينك، فمن يرمي أول حجر يقول الرب. من منكم بلا خطيئة فليرمها بأول حجر، من منكم بلا خطيئة فليقم بأول اعتقال. لي النعمة أنا أجازي، يقول الرب، أنا أجازي. لي النعمة فلا تأخذ حقلك بيدك. الحق أقول لك إن دخول جمل في ثقب إبرة أيسر من أن يدخل شرطي أو شرطية إلى ملكوت السماء. أحضرهم إلى ملكوت السماء يارب، أحضرهم إلى ملكوت السماء أنقذهم من كراهيتهم لإخوتهم في الإنسانية، من كراهيتهم للضعفاء المساكين الذين لا يبغون إلا البحث عن رزق يسير. آه، أحضرهم إلى ملكوت السماء يارب. رأسا إلى ملكوت السماء. (لقد وصلت نشوة ربيكا حدا أخذت معه ترتجف من قمة رأسها إلى أخمص قدميها. فجأة تفتح يديها موقعة نظارات المسؤول التنفيذي).

ريبيكا:

إلى ملكوت السماء يا رب، إلى ملكوت السماء.

(يقتنص المسؤول التنفيذي حريته في الحال ويقذف بنفسه من خلال النافذة، ويهم

الكاتب بمساعدته في التقاط قبعته ومظلته من على الأرض، ولكنه يغير رأيه حين يتقدم أنانائس ويلحق برئيسه من خلال النافذة. في سعيه لالتقاط الغنيمة الملقاة على الأرض، يفلت أنانائس الشرطية التي تفر من خلال الباب. أما ربيكا، الذاهلة تماما عن كل ما يجري، فتدور حول نفسها مرعدة: «إلى ملكوت السماء».

يلتقط أنانائس المظلة والقبعة ثم ينظر في دولاب الكؤوس والأطباق ويضع في جيبه قطعة خبز يجدها هناك، ويتشمم القنينة ويزدرد محتوياتها. وحين لا يجد شيئا آخر يمكن التقاطه، يهز كتفيه ويهم بالخروج، إلا أنه يتوقف وينظر ثانية إلى ربيكا التي لا تزال في حالة نشوة، ثم يتوجه إلى زاوية الغرفة ويرفع دلو من الماء ويصبه على الأخت ربيكا التي يوقضها البرد وهي ترتجف (يخرج أنانائس آخذا معه الدلو).

المشهد الثاني

(صورة تمثل الشخص ذا اللباس العسكري في وضعية مختلفة معلقة فوق شرفة البيت الذي يعيش شومة في غرف مؤجرة فيه. شومة يتمرن على بوق مجربا أنغام أغنية «ما أعظم يسوع من صديق»، بينما بذلة جيش الخلاص^(٤) الخاصة به موضوعة على كرسي، وهي مكوية حديثا، ومنشاة إلى حد التيبس. يدخل الرائد سيلفا، وهو من جيش الخلاص أيضا).

(لهجته فصحي خالصة مع لكمة من أكسفورد): طاب يومك يا عريف شومي. يؤسفني أن أقول إن النقيب لم يتمكن من الحضور اليوم، إلا أنني سأبذل ما في مقدرتي المتواضعة لأنوب عنه.

الرائد سيلفا:

(يشير إلى أوراق النوتة الموسيقية) يسرني أن أراك تؤدي بعض الواجبات المنزلية. (ينظر شومة إليه بمزيج من الشك والعداء) كيف يمكن؟ أنت نفسك لا تعزف على البوق. هذا صحيح في الواقع، إلا أنني أفهم الموسيقى وهذا في الحقيقة ما أنوي تعليمه. حسنا، هل نبدأ.

شومة:

الرائد سيلفا:

شومة:

أين النقيب ونستون؟

الرائد سيلفا:

لقد قلت لك إنه لا يستطيع الحضور. والآن أخبرني من فضلك عن مدى التقدم الذي أحرزته مع النقيب حتى نرى ما يمكننا فعله.

شومة:

(باستياء واضح): من الأفضل أن يكون للإنسان معلم واحد، وقد أخذت أعود على النقيب ونستون، وبعدها يأتي آخر، النقيب ونستون يفهم كيف يعلمني.

الرائد سيلفا:

نعم، ولكن إذا أعطيتني فرصة يا شومي، أظن أنني قد أستطيع بعون الله أن أقوم مقام النقيب، ولو لدرس واحد. والآن...

شومة:

أظن أنني أستطيع الانتظار، بل ويمكنني أن أواصل التمرين وحدي.

الرائد سيلفا:

هيا هيا يا شومي، تعرف أنه ليس لدينا اليوم بطوله، هيا لنبدأ بهذه المقطوعة ما رأيك؟ دعنا نسمعك تعزف هذه المقطوعة، هه. (يختار ورقة من الرزمة) وعندها أستطيع أن أكون فكرة على نحو ما، أليس كذلك؟ اعزفها مرة واحدة بالكامل.

شومة:

لا، لا أريد أن أعزف هذه المقطوعة.

الرائد سيلفا:

أوه؟ حسنا. ماذا تريد أن تعزف؟ اختر غيرها، أي واحدة تعجبك. ما آخر الترانيم التي تمرنت عليها مع النقيب؟

شومة:

لا أعرف. نحن نتمرّن فقط.

الرائد سيلفا:

حسنًا، إذن اعزّف لي آخر ما تمرّنت عليه.

شومة:

نحن نتمرّن قطعة بعد قطعة... آآآ... واحدة

هكذا، ولكن لا أتذكر اسمها.

الرائد سيلفا:

حسنًا، أسمعني بعض الفواصل الأولى،

وسوف ننطلق منها. واضح؟

(يرفع شومة البوق إلى شفّتيه والاستياء لا

يزال ظاهرًا عليه)

حسنًا، بعد أربعة، واحد، اثنان، ثلاثة،

أربعة.

(ينطلق شومة عازفًا «ما أعظم يسوع من

صديق»، ويصفى سيلفا ويعبر عن بعض الدهشة،

ثم يهز كتفيه، ينتظر شومة حتى ينهي مقطعًا).

ولكن هذه الموسيقى التي اخترتها لك.

أظنك قلت إنك لا تريد أن تعزّفها.

شومة:

هه؟ غيرت فكري.

الرائد سيلفا:

لا بأس. والآن يا شومي، فلنحاول هذه المرة

أن نعزّف ما هو مدون هنا. ثبتها على البوق من

فضلك. اسمع، لا تستطيع أن تدخل إيقاعك

الخاص إلى أناشيد الكنيسة، عليك أن تعزّف

ما هو مدون، لذا رجاء اقرأ النوتة واعزّف.

شومة:

ما حكيت أنا هذا؟ أحسن أن ننتظر النقيب

ونستون. أنت لا تفهم كيف تعلمني.

الرائد سيلفا:

هيا هيا، دعنا من هذه السخافة، هيا
فلنحاول ثانية، المسألة كلها مسألة توقيت يا
شومي، توقيت. تام تا را تا تا تام.... تام...
تام... تا راتا راتا تام... بدقة ووضوح.
وليس مثل موسيقى الجوجو أو موسيقى
الهاي لايف^(٥)، والآن هل نعاود المحاولة؟
والتزم النوتة هذه المرة.

(يناول الورقة لشومة الذي يثبتها على بوقه)
هل نحن جاهزون الآن؟ واحد، اثنان،
ثلاثة... تام... تارا...

(يعزف شومة اللحن بالإيقاع الراقص نفسه
فيوقفه سيلفا)

الرائد سيلفا:

لا لا، التوقيت يا شومي، التوقيت... يا رب
السموات!

(يتوجه إلى شومة ويشير إلى النوتة)

أيها العريف، هل تقرأ الموسيقى دائما بالمقلوب؟
هه؟ (يأخذ شومة بتصحيح وضعية الورقة
وقد بدا عليه الشعور بالذنب)
لا عجب... آآ... هكذا أحسن.

شومة:

(بشدة): أيها العريف شومي، هل تستطيع
قراءة النوتة الموسيقية أم لا؟

الرائد سيلفا:

(بغضب): لا تحك هكذا. جئت وجاءت معك
المشاكل. أنا أقول أنتظر النقيب ونستون وتقول

شومة:

تعلمني، والآن تزعجني بالنوتة الموسيقية. كيف
رجل مكتب يأخذ البوق ويعزف موسيقى؟

الرائد سيلفا: هل تستطيع أن تقرأ الموسيقى أم لا يا
أخ شومي؟

شومة: هل تستطيع أن تعزف البوق أم لا يا رائد
سيلفا؟

الرائد سيلفا: لا، لقد طفح الكيل. كيف يتوقع مني الأخ
ونسـتون أن أعلمك أي شيء وأنت أمي من
ناحية الموسيقى؟

شومة: هكذا، أنا أمي الآن؟ أنا أمي؟ أنت نفسك
الأمي. أنت الأمي.

الرائد سيلفا: ماذا؟ حسنا. فلنحافظ على أعصابنا.

شومة: أنا لا أفقد أعصابي، أنت لا تعرف أين تترك
أعصابك، بل إنك لا تعرف اسمي المضبوط،
وتقول أمي. اسمي ما هو شومي، اسمي شومة.

الرائد سيلفا: (بجهد يفوق طاقة البشر): الغضب، غضب
الجندي المسيحي يجب توفيره لأعداء الله
والحق فقط. اخفض رأسك من فضلك يا
عريف شومي، عفوا... شوماي.

(يتخذ وضعية الصلاة ويفعل شومة الشيء
نفسه بإذعان. يلبثان صامتين لدقائق عدة)
فليعطنا الله القوة لمواجهة خطيئة الكبرياء
الكاذبة وشيطان الغضب. آمين.

شومة:

آمين.

الرائد سيلفا:

والآن سوف نبدأ كل شيء من البداية. (ينزع ورقة النوتة الموسيقية) مارأيك أن ننسى أمر هذه النوتة في الوقت الحاضر؟ قال النقيب ونستون إنك تعزف البوق بالفطرة وأظنه محقا. إلا أنه تبقى هناك أشياء لا بد من تعلمها، وإلا صرت مثل صوت وحيد يصرخ في البرية، والآن هلا أعدنا المحاولة؟

أريدك أن تراقبني وتتابع... آآآ... حركات يدي، هكذا راقب، راقب... تام... تاراتا تام... تارا... تام، وهكذا دواليك. واضح؟

شومة:

(بلهجة توكيدية): نعم، نعم، هكذا يعلمني النقيب ونستون.

الرائد سيلفا:

جيد. والآن هل نحن جاهزون؟ واحد، اثنان، ثلاثة...

(يواصل الكلام وهو يعزف)

هذا أفضل. تذكر دائما أن ألحان الجيش لا بد أن تكون عسكرية في إيقاعها وطابعها، تذكر أننا نستخدمها في مسيرات وليس في رقصات. لا، لا، توقف من دون بهرجة رجاء، من دون بهرجة، وخصوصا في لحن عسكري، بل وفي لحن عسكري بالذات.

شومة:

ماذا هو بهرجة؟

الرائد سيلفا:

عفوا .

شومة:

ماذا هو بهرجة؟

الرائد سيلفا:

آه البهرجة. حسنا، البهرجة هي... آآ...
إضافة، يعني زخرفة، زينة. ما نريده هو نغمات
صافية، نغمات نقية كالبلور (يبدو شومة تائها)
اسمع، هلا عزفت الفاصلة الأولى فقط؟

شومة:

(بحيرة أكبر): فاصلة؟

الرائد سيلفا:

نعم الأولى... حسنا، إذن لم لا تبدأ من
البداية مرة أخرى؟ وسأوقفك حين تصل إلى
الهرجة...

(يعزف شومة ويوقفه سيلفا بعد نغمات عدة)
هذه هي. لقد عزفت تاتااتا، أو شيئاً من
هذا القبيل، بدلا من تاتا.

شومة:

آه، يعني الفلفل.

الرائد سيلفا:

الفلفل؟

شومة:

نعم الفلفل. عندما تطبخ شوربة تضع الفلفل،
والا ما لها طعم، يعني لها طعم، ولكن مثل أي
شيء. على كل حال، حتى الرمل له طعم، ولكن
من يعجبه الرمل؟ إذا أعطوك رملا حتى تفرمه.
هل تفرمه؟

الرائد سيلفا:

(وقد بدأ يشك في قواه العقلية): سيد
شومة، إذا قلت لك أنني فهمت كلمة واحدة
مما تقول، أكون قد ارتكبت خطيئة الكذب.

- شومة: ماذا؟ ما تعرف إيش هو الفلفل؟ النقيب
ونستون لما أقول الـ «فلفل» يعرف فوراً ما أقول.
الرائد سيلفا: لا أعرف، حسب تعبيرك الطريف، ما هو
الفلفل في الموسيقى يا سيد شومة.
شومة: والبهارات؟ الملح؟ عصفر؟ قرفة؟ كمون؟
إلخ... إلخ.
الرائد سيلفا: سيد شومة، يؤسفني أنني لا أرى العلاقة
بالضبط...
شومة: لا، لا، لا تحاول أن تراهم، حاول أن تسمعهم.
(ينفخ نفمة منتظمة) هذه شوربة من دون
توابل (ينفخ مرة أخرى متحولاً إلى نفمة أكثر
حدة) وهذه شوربة مع فلفل. (ينتقل إلى نفمة
أخرى) هذه المرة وضعت نكهة إضافية. ولكن
افرض أنني وضعت سمكا مقدداً، سمكا
مدخناً، شطة...
الرائد سيلفا: إذا لم يكن لديك مانع، فالأفضل أن تتمرن
بطريقة طبيعية لا وقت لدينا لكل هذا الهراء.
شومة: انتظر قليلاً. ما تعجبك الشطة، وما تعرف
ما هي؟ وتقول إن أكلتي البلدية هراء؟
الرائد سيلفا: لم يكن في نيّتي إهانتك بأي شكل من
الأشكال يا سيد شومة.
شومة: إذن الهراء ما هو إهانة لرجل في قدرتي،
فأنا ما أعرف الإهانة؟

الرائد سيلفا:

أخ شومة، رجاء، لا بد أن تتذكر أن لدينا موعداً مهماً في إعدامات الغد. يجب أن نتمرن.

شومة:

(ينفخ نفمة عدائية حادة على البوق): سمك مقدد. (واحدة أخرى) عصفر. مللت هراءك (يلقي قبعته أرضاً، وينفخ مزيداً من النفمات) خروب وفلفل أحمر (يخلع حذاءه) إذا كنت تبقى هنا لما أضع الشطة ستندم على رأسك.

(يندمج شومة الآن في الموسيقى تماماً محولاً النفمة إلى إيقاع تقليدي، وتتصاعد حماسه بشكل متزايد، وبشكل تدريجي تبدأ قدماه بالتجاوب مع الإيقاع الذي سرعان ما يستولي على جسده كله، يرقص مهاجماً سيلفا الذي يتراجع دون أن يتمكن من الفرار في الحال، لأن رقصة شومة تسد المخرج. وأخيراً، يتنحى شومة جانباً، فيفتتم الفرصة ويلوذ بالفرار.

يواصل شومة الرقص دون أن يلاحظ الأخ جيرو الذي يدخل ويهز رأسه بياس، ثم يخطو داخل الرقصة بطريقته المحسوبة نفسها. وتدرجياً يلاحظ شومة أن هناك رجلين آخرين تشاركانه الرقص، فتتباطأ حركته حتى تتوقف ويصمد بنظره من الرجلين إلى وجه جيرو بابتسامته البشوش.

(يتراجع شومة)

جيرو: (فاتحا ذراعيه): لست شبحا يا أخ شومة.

من يقف أمامك ليس طيفا. تأكد أنك قد
استعدت عافيتك ولم تعد تعاني الهلوسة، هذا
أنا، أستاذك القديم الحبيب، العراف جيروم،
جيرو النقي، بطل الحملة الصليبية المفوه.

شومة: (يقف دون حراك): انقلع من هنا وإلا
كسرت رأسك.

جيرو: تكسر رأسي؟ وماذا يفيدك كسر رأسي؟
شومة: يعوضني عن كل ما عانيت على يديك. أنا
أحذرك، انقلع.

جيرو: ما عانيت على يدي؟ أنت يا أخ شومة،
عانيت على يدي؟

شومة: تقول للشرطة إنني جننت، لأن الله كشف
لؤمك وخداك، وأنا أصرخ لكل العالم...

جيرو: أخ شومة...

شومة: أنا لست أخاك، لا تقل أخاك، إخوة مثل
قابيل وهابيل. إخوة عيسو ويعقوب^(١) تأكل
لحمتي وتسرق ورثتي...

جيرو: أنت تظلمني ظلما فادحا يا أخ شومة.

شومة: صحيح؟ وأنت تعدلني؟ تحبسني في
مستشفى مجانيين حتى تغطي الغش. أنت واحد
غشاش، ببساطة ووضوح. عراف غشاش

(يزداد حماسه) اسمع، أنا أحذرك، انقلع من هنا، إذا أحببت رأسك (مقتربا).

جـيـرو: ها قد رفعت يدك ثانية على من عمده الرب. تذكر كم كلفك ذلك.

شـومـة: من عمده الرب؟ أنت؟

جـيـرو: لقد رفعت علي سيفاً يا أخ شومة، ولكنني غفرت لك.

شـومـة: هذا هو الغفران؟ ثلاثة أشهر في مستشفى مجانين! هذا هو الغفران في إنجيلك؟

جـيـرو: ألم يكن ذلك أفضل من السجن المؤبد للشروع في القتل؟

شـومـة: لو كنت شققت رأسك بالسيف لصار العالم مكاناً أفضل. كان يمكن أن يشنقوني، ولكن وقتها سأصبح شهيداً وقديساً. قد أموت، ولكن العالم كله سيقول عني القديس شومة.

جـيـرو: ولكن انظر حولك يا أخ شومة، انظر حولك. تريد أن تجعل هذا العالم مكاناً أفضل؟

حسنًا، ولكن أن تشنق في سبيل ذلك، وربما في العلن؟ من أجل من؟ في سبيل أناس مثل الرائد سيلفا؟ أناس لا يستطيعون حتى أن يفهموا الروح الموسيقية التي أنعم الله بها عليك؟ هل يستحقون ذلك يا أخ شومة؟ أم. لقد أخذت أراقبكما لبعض الوقت، صدقني هذا

الرجل عدو، عدو، إنه لا يفهمك، أنا واثق أنهم جميعا مثله.

شومة:

ليسوا كلهم مثله. النقيب ونستون...

جيرو:

رجل أبيض. إنه ليس واحدا منا. أنت نفسك تعرف أنه منافق. كل البيض منافقون.

شومة:

هو خالصني من مستشفى المجانين، أليس كذلك؟ إذا كان هذا هو النفاق، الحمد لله على النفاق.

جيرو:

كان بحاجة إلى عازف بوق.

شومة:

قبل هذا ما كنت أعزف البوق. كنت لا أستطيع أن أمسك نفسي.

جيرو:

ولكنك كنت تعزف على مزمار صغير حين سمعك. أعرف القصة كلها يا أخ شومة. جاء هو وفرقته للترفيه عنكم، أنتم المرضى المساكين.

شومة:

(بجدة): أنا لست مريضا مسكينا. أنت قلت لهم يحبسوتني في هذا المكان مع المجانين. أول يوم شفتك فيه، هذا اليوم صرت مسكينا.

جيرو:

(يتحول بشكل متزايد إلى أسلوب المواعظ المرتلة): أخ شومة، يجب أن تشكر الرب الرحيم لا أن تلومه على الوضع الذي وجدت نفسك فيه. فحين رأى بحكمته أن يزود رجلي بجناحين وجعلني أطيّر على الشاطئ المهجور هربا من سيفك المتقد غضبا، تأكد أنه لم يكن

يعلق كل هذه الأهمية على حياتي أنا. لا يا أخ شومة، بل على حياتك، حياتك أنت.

فكر فيما كان سيحدث لو أنك حققت نيتك الآثمة بالفعل، وأرديتني شهيدا على الرمال، أما كانت روحك ستلعن إلى الأبد. تخيل دمي وهو يغوص في الرمل ويختلط بالزبد، وتخيل رجلك غارقتين في هذا المزيج الرهيب وقد أثقلهما الخوف من الدينونة الأبدية.

أي رجل مهما بلغت سرعته في العدو يستطيع أن يجري دون عون على شاطئ رملي؟ هل يفر من إرادة الله وقانونه؟ تخيل نفسك كما كنت ستكون: طريد الله والإنسان، روحا ضالة تصرخ من هول الدينونة. أم أنك كنت ستلقي بنفسك بين الأمواج ساعيا إلى إغراق نفسك؟ لو نجحت لأصابتك دينونة مضاعفة. أما لو فشلت، ولفظك البحر ملقيا بجسدك القذر على الشاطئ، ففكر كيف كنت ستعيش منبوذا لا تجد العزاء حتى في الموت. ألم تذكر أنت نفسك منذ لحظة قصة قابيل وهابيل بمغزاها الأخلاقي؟ أو لم يقع قابيل في الدينونة إلى الأبد؟ أو لم يلعنه الله تعالى بذاته؟ ولكنني أدركت أنه لا قبل لك بمثل هذا العمل الشرير، الذي كان من عمل الشيطان

دون شك. فهل أخطأت في حمايتك بالأسلوب الوحيد المتاح لي؟ ولقد تلقيت معالجة وعناية فائقتين لثلاثة أشهر. أما زوجتك الطيبة أموبة، وقد رأت زوجها في خطر فقدان عقله، فقد برهنت مرة أخرى على أن قلبا من ذهب ينبض وراء مظهرها المشاكس، وللمرة الأولى منذ زواجك يا أخ شومة، اكتشفت أن صوتا عذبا يكمن تحت اللسان السليط لهذه المرأة. ولقد أظهرت لك من المحبة والعناية ما أنكرته عليك طوال هذه السنين. وهكذا، فإن الرب الرحيم، وقد رأى أنك استعدت عقلك أخيرا، أرسلني لك منقذا، تماما كما أنقذ نبوخذ نصر في قديم الزمان من أهوال الظلمة والجنون. آه يا أخ شومة، ما أعظم الرب وما أرحمه، فلنركع ونمجد اسمه، المجد للرب يا أخ شومة، المجد للرب، المجد للرب على نعمة العقل وعلى نعمة الحياة، والمجد له أيضا على ترقيتك القادمة. نعم ترقيتك القادمة؛ فهذه هي البشارة التي يحملها شخصي المتواضع.

(بتردد): ترقية؟

شومة:

التي يحملها شخصي المتواضع. أرسلك يا عراف جيرو، قال الرب طوبى لصانعي السلام، لأنهم سيرثون ملكوت الله لتصالح أخاك

جيرو:

شومة، ولتأخذ معك عربونا للسلام هذه
البشرى الطيبة عن ترقيته القادمة.

شومة: ترقية؟ كيف يمكن؟

جيرو: (بشدة): هل بك شك يا أخ شومة؟ أتشك

في نبوءتي؟ هل جعلتك إقامتك بين المجانين
تسى ما نبئت به من حرب عشنا لنراها
تتحقق؟ هل تثق بي وتمجد الرب، أم أنك تقرر
على نفسك بالتردد في ساعة المحنة هذه؟

شومة: المجد للرب.

جيرو: في صورته الجديدة يا أخي. رنم له.

شومة: فلنرnm له.

جيرو: الذي طهرنا بدمه، كما تتبأت أنا.

شومة: فلنرnm له.

جيرو: رنم له هاليلويا.

شومة: هاليلويا.

جيرو: (يبيذل كل ما في وسعه لإثارة «الانسجام

الإيقاعي» لدى شومة بشكل حقيقي): أخرجك
من الظلمات إلى النور.

شومة: هاليلويا.

جيرو: لن تتعرض قدمك للزلل ولن تتعثر ثانية.

شومة: هاليلويا.

جيرو: أرسله صارخا والنار في إثره، له المجد.

شومة: هاليلويا.

المجد للرب هاليلويا، المجد للرب.	جـيـرو:
المجد للرب هاليلويا، المجد للرب.	شـومـة:
المجد للرب هاليلويا، المجد للرب.	جـيـرو:
هاليلويا، هاليلويا، المجد للرب، هاليلويا،	شـومـة:
المجد للرب هاليلويا، المجد للرب، هاليلويا،	
المجد للرب...	
(يصفق جيرو على الإيقاع ويتمايل الأخ	
شومة وينشد وهو جاثٍ على ركبتيه)	
(يتنحى جانبا ويقف بشكل محايد مراقبا	جـيـرو:
شومة الذي تسيطر عليه النشوة): لقد انتابني	
الشك لبرهة، ولكن كان يجب أن أكون أبعد	
نظرا. ربما كان إخوة جيش الخلاص هؤلاء	
قد غسلوا بدماء المسيح الحمراء، إلا أنه يتبين	
في كل مرة أن دماء عرافي باربيتش السوداء	
هي الأقوى.	
(يصيح فجأة ويستدير إلى شومة) هاليلويا	
يا أخي، هاليلويا.	
(يشارك شومة بضع دقائق أخرى ثم يربت	
على كتفه)	
أخ شومة. أخ شومة (يهزه قليلا) أخ شومة. أخ	جـيـرو:
شومة (يلتقط البوق وينفخ بقوة في أذن شومة)	
(مجفلا من نشوته): ماذا يا أخ جيرو؟	شـومـة:
بوق الرب يا شومة، إنه يدعونا إلى	جـيـرو:

الواجب. وكما يقول الرب: هناك وقت لكل شيء: وقت للضحك ووقت للبكاء، وقت للصحوّة ووقت للنوم، وقت للصلاة ووقت للعمل. وهذا وقت العمل.

العمل؟

شومة:

نعم، العمل. انهض يا أخ شومة واتبعني، فالرب في حاجة إليك.

جيرو:

(ينهض ويستعيد توازنه بتردد): في حاجة إلي أنا يا أخ جيرو؟

شومة:

نعم في حاجة إليك. لقد طال بقاؤك في المعارضة، مخدوعا، محتقرا ومهاناً، وحان وقت ترفيعك. احمل بوقك واتبعني، سوف أشرح لك كل شيء في طريقنا للقاء... (يتوقف ليقول بتوكيد مقصود) إخوتك العرافين.

جيرو:

(فاغرا فاه): الإخوان العرافون يا أخ جيرو؟ ولكن أنا ما...

شومة:

ليس بعد الآن يا شومة، من الآن أنت عراف بكل معنى الكلمة. لا، ليست هذه الترقية، فما هي إلا أول الفيث، أما ترفيعك الكامل فسيجري الليلة أمام إخوة الشاطئ المجتمعين. لقد عبرت نيران الجحيم وخرجت منها خادما قويا للرب. لقد خلصت، طهرت، ألهمت، وتلقيت الهداية من الآن فصاعدا، أخ حقيقي

جيرو:

وعلى قدم المساواة، ولست خادما لي، اركع يا
أخ شومة...

شومة: (يركع وهو يترنح): ولكن يا عراف... أنا
مسكين...

جيرو: إنما أنا أنفذ أوامر الرب الكريم، لا أكثر
(يرت بعضا الكهانة على كتفيه كليهما)

انهض يا عراف شومة، اخدم الرب وحارب
في سبيله إلى الأبد.

(يدير عصا الكهانة ويعطيه «المقبض»^(٧)).
يمكنك أن تستخدم عصاي إلى أن تحصل على
العصا الخاصة بك ويتم ترسيمك.

شومة: (وقد أسقط في يده): هذا عطف كبير منك
يا أخ جيرو.

جيرو: ما أنا إلا أداة لتحقيق إرادة الرب (بحيوية)
والآن انهض، لنمضي فالآخرون ينتظرون،
وأمامنا الكثير لنفعله.

عتمة

المشهد الثالث

(الفسحة الأمامية لمقر الأخ جيرو. ضجيج،
ثرثرة في وسط مجموعة من أغرب ما يكون
من العرافين. لقد سبق وجرى إخراج المكتب
والكراسي من المقر من أجل الاجتماع. تخرج
الأخت ريبكا من المنزل حاملة الصورة من
المكتب وتعلقها على الجدار الخارجي.

تأخذ ريبكا كرسيًا إلى شخص على أشد ما
يكون من التصلب، وهو يحدق أمامه باستقامة
ويدها معقودتان على صدره. إنه الوحيد الذي
يبدو عازفاً عن المشاركة في الشراب المتدفق
دون انقطاع، والذي يظهر تأثيره بالفعل على
واحد أو اثنين من الموجودين.

لا يا أختاه، نحن نرفض الجلوس، نحن
نرفض الجلوس لقد تعرضنا للإهانة ونحن نعلن
احتجاجنا. لم نعامل باحترام يليق برئيس طائفة
تضم عشرين ألفاً. فالأخ جيرو الذي حضرنا
إلى هذا المكان بناءً على دعوته، ليس حاضراً
لاستقبالنا. إننا نحتج على هذه الإساءة.

اسمع اسمع (يصيبه فواق)، سلوك لا يليق
بعراف محترم.

شادرس:

كالب:

- رببيكا:** أؤكد لك يا أخ شادرش أنه قد عطلته مسائل تتعلق بصميم القضية التي جئتم لمناقشتها.
- إيساك:** إذن لا بد أنها تأخذ كثيرا من وقته.
- شادرش:** كثيرا «وكثيراً» جداً يا أخت ربيكا، إن إبقاءنا منتظرين إهانة موجهة إلينا.
- أنانيس:** هيا اجلس أيها العجوز الأبله، يا لك من منافق.
- شادرش:** (يستدير مغادرا): نستأذن في الانصراف.
- كالب:** اسمع اسمع، فلننظم جميعا انسحابا مشرفا. لا أحد ينسحب في هذه الأيام، وذلك منذ أن اختفى البرلمانيون.
- إيساك:** يאלتلك الأيام الخوالي، كانت طيبة للعمل.
- كالب:** هيا يا شاد العجوز، اخرج بنا في انسحاب (بصعوبة كبيرة في لفظ الكلمة) إكليروسي مشرف.
- رببيكا:** أخ شادرش، أرجوك.
- شادرش:** لا، هيا ننصرف فللمرة الثالثة في هذه الليلة يهيننا أحد الأوباش من زملاء المهنة. نستأذن بالذهاب.
- كالب:** اسمع اسمع، العضو الموقر في...
- رببيكا:** لا تلق بالا يا أخي، أنا أعتذر بالنيابة عنهم. سامحنا جميعا على تقصيرنا في حقك.
- شادرش:** قد سامحتكم يا أختاه (يجلس).
- أنانيس:** (يميل على مسند كرسيه): سوف تتفجر يا شادرش، مثل الضفدع في المستقع.

- كالب:** مثل الضفدع في المثل (فواق). الضفدع في المثل.
شادرش: (ودون أن يفقد توازنه يقذف يده بحركة دائرية ويمسك يد أنانائس من المعصم ويجذبها إلى الأمام، فنرى يده وفيها محفظة): محفظتي فيما أظن يا أنانائس؟
- أنانائس:** لقد وقعت على الأرض. أهكذا تشكرني على مساعدتك في التقاطها؟
- شادرش:** أنا لا أتهم أحدا يا أنانائس (يعيد المحفظة إلى ثايثوبه): لقد التقينا جميعا في روح من الأخوة كما آمل، والدرس يقول أنا حارس لأخي، ولست أنا حارس لمحفظة أخي.
- أنانائس:** (مشيحا عنه): لا تلق أملاكك على الأرض، هكذا يقول الكتاب المقدس. حقا أقول لك، من الأسهل على الجمل... إلخ.
- كالب:** (يرفع كوبه): يا أخت ربيكا، لقد فرغت الكأس.
ربيكا: (تهرع للملأها): اعذرني يا أخ كالب.
كالب: من الضروري رفع الروح المعنوية.
إيساك: إذن أين هذا الجيروبم؟ متى سيأتي ويخبرنا لماذا جعلنا نترك مواقعنا لنتنظر سعادته؟
- ربيكا:** لحظة يا أخ ماثيو.
إيساك: أنا لست الأخ ماثيو.
ربيكا: عفوا يا أخي.
كالب: حالة التباس واضحة يا أخت ربيكا.

- إيساك:** أنا لست الأخ ماثيو أيتها الأخت، وأرجوك أن تلاحظي هذه الحقيقة.
- ماثيو:** (مفتاظا): وهل لي أن أسأل ماذا يضيرك في أن تكون الأخ ماثيو؟
- إيساك:** أعرف كل شيء عن الأخ ماثيو، ويكفي ذلك جوابا لكل من لديه حس من الحياء.
- ريبيكا:** سامحني على هذا الخطأ غير المقصود، لا داعي لإثارة شجار من أجل هذه القضية.
- إيساك:** من كان يتصور أنه من الصفاقة بحيث يرينا وجهه هنا. حقا إن بعض الناس ليست لديهم ذرة من الحياء.
- كالب:** اسمع اسمع.
- ماثيو:** وبعضهم الآخر فريسيون زائفون.
- إيساك:** فريسي زائف خير من مهووس بالجنس.
- ماثيو:** أنا أستكر هذا.
- إيساك:** لا بأس. استكر كيفما شئت.
- ماثيو:** أتحداك أن تكرر ذلك، وسترى كيف ستنتهي في محكمة بتهمة الافتراء. استمر، نحن جميعا مصغون. لدي شهود، هيا أنا أتحداك.
- إيساك:** لا حاجة بي إلى ذلك، فكلنا نعرف الحقيقة.
- ماثيو:** صحيح أنهم برأوك، ولكننا نعرف الحقيقة.
- إيساك:** جبان.
- ماثيو:** زان.

- ماثيو:** سكير، صاحب سوابق، مزور.
- كالب:** ثلاث مقابل مخالفة واحدة.
- ريبيكا:** (تتدخل بينهما حين يهمان بالاشتباك): أيها الأخوان، أرجوكمما باسم مهنتنا المشتركة (يدخل جيرو وشومة، فتتهد ربيكا بارتياح).
- جيرو:** آه يا أخ جيرو، أنت حقا تلبية لصلاتي.
- إيساك:** أهلا أيها الإخوة، أهلا بكم جميعا، وسامحوني لوصولي متأخرا إلى الاجتماع الذي دعوتكم إليه بنفسي (يسلم ربيكا مفتاحا) افتحي الخزانة وأخرجي سلاحنا السري يا أختاه.
- أنانيس:** لقد انتظرنا ساعتين يا أخي.
- أنانيس:** لم يمض على وجودك نصف ساعة، لقد رأيتك تدخل.
- جيرو:** آه، أرى أكوابا فارغة، لا عجب أن إخوتنا مستاءون. أخت ربيكا، نحن بحاجة إلى ضيافة أفضل.
- ريبيكا:** (تخرج ومعها الملف): هل تظن ذلك من الحكمة يا أخ جيرو؟ إنهم أصلا في غاية الـ..
- جيرو:** ثقي بي، أنا أعرف ما أفعله يا أختاه (بصوت مرتفع)، مزيدا من الشراب لإخوتنا.
- شادرش:** املئي الكؤوس يا أخت ربيكا.
- شادرش:** نحن لا نشرب، لقد جئنا لنقاش جاد، هكذا قيل لنا، ولم نأت لنأكل ونشرب.

جيرو:

لن نتشاجر. أعترف أن الذنب ذنبي. أخت
ريبيكا، بعض النشوق للأخ شادرش.

ريبيكا:

سأتي به في الحال يا أخ جيرو.

جيرو:

(يستدير إلى الجميع بابتسامة مشرقة):
والآن يا أعزائي رعاة القطيع. لا داعي لإضاعة
الوقت، فنحن نعرف بعضنا، ولا داعي لإضاعة
الوقت في التعريفات. موضوعنا هو التقدم،
لقد داهمنا التقدم وأخذ يضرب سواحلنا
وعتبات معابدنا مثل أمواج المحيط. مشاريع
في كل مكان: مدن، ملام، قمار، كازينوهات!
فعبيد المال قد أدارت رؤوسهم تلك المفريات
الأجنبية التي تجذبهم كلما سافروا في ما
يسمونه مهمات اقتصادية. اما مهمتنا، مهمة
الرب يهوه، فستكون كبش الفداء على مذبح
المال. وحين ترون الدخان يتصاعد في ذلك
اليوم الحزين، فستعرفون أنه يتصاعد من
أكواخ الإيمان، تلك التي أقمناها لتؤوي المسيح
حين عودته في ذلك اليوم الذي طال انتظاره.
فماذا سيجد؟ ما الذي سيجده حين يأتي فوق
الماء؟ هذا الصياد بين البشر؟ ماذا سيجد حين
يخطو إلى داخل المعبد العظيم المفتوح الذي
أقمناه هنا، أنا وأنتم، في انتظار عودته
المجيدة؟ هذا؟! (يسحب رزمة من الصور من

جيبه يرافقه عزف البوق) هذا يا إخواني؟
(يراقب جيرو ردود فعله بينما يتناقلون صور
سابحات حسانوات لا يستر أجسادهن إلا
القليل. وتتفاوت ردود الفعل من شادرش الذي
يشيح بوجهه في اشمئزاز مدروس، وأنانايس
الذي يجد فيها فجورا مضحكا، إلى ماثيو
الذي يسيل لعابه بكل معنى الكلمة).

شادرش:

يجب ألا يحدث هذا هنا.

إيساك:

أبدا، يجب أن ننظم أنفسنا.

كالب:

وأنا موافق، فلنوجد قوانا. لا نريد من حيتان

الأعمال أن تستولي على مياها الروحية.

إيساك:

لا بد من ارتياد كل قنوات الاحتجاج

الرسمية.

ماثيو:

ولماذا؟

أنانايس:

ماذا تقصد لماذا؟

ماثيو:

قلت لماذا؟ هذه الصور ترينا أرواحا ضالة

في حاجة للهداية، فهل ندير ظهورنا لمن هم

على هذه الحال؟ إذ «لا يحتاج الأصحاء إلى

طبيب بل المرضى» (*).

إيساك:

ليس أسلوبك في الطب يا أخ ماثيو.

شادرش:

إذا كنا قد فهمنا ما يعنيه الأخ جيرو،

وأظننا فهمناه، فالنية قائمة على

(*) من أقوال السيد المسيح (إنجيل لوقا: ٥: عدد ٣١)

استبعاد.. استبعادنا نحن، أي الأطباء مما

يسمى بالمنتجع، أليس كذلك؟

لا نعرف ذلك بشكل مؤكد.

ماثيو:

(يناول الملف مفتوحاً على إحدى

جيرو:

الصفحات): اقرأ هذا يا أخ ماثيو. هذه وقائع

اجتماع مجلس الوزراء الذي اتخذت فيه

قرارات معينة.

(مجفلاً): أي ملف هذا؟

ماثيو:

اقرأه.

جيرو:

هذه الورقة تقول إنه سري، لا أريد مشاكل

ماثيو:

مع الحكومة.

تصرف حكيم جداً يا أخ ماثيو، يجب ألا

إيساك:

تعرض كفالتك للخطر (يأخذ الملف)، سأقرأه أنا.

(يصفر من النظرة الأولى) كيف حصلت

على هذا الملف يا جيرو؟

هذه حكمة الرب الخفية...

جيرو:

في تحقيق معجزاته. آمين.

أنانيس:

(يقرأ): «مذكرة من مكتب رئاسة الوزراء إلى

إيساك:

المجلس السياحي. اقتراحات بتحويل باربيتش

إلى مسرح وطني مفتوح للإعدامات العلنية».

واو! أنت لم تقل ذلك.

كنت أحتفظ به بغرض المفاجأة، فهذا هو

جيرو:

صميم المشروع التجاري برمته.

شادرس: نحن لا نفهم، هل يعني هذا...؟
جيرو: رزقا يا شادرس، رزقا وفيرا.
ماثيو: وأين موقعنا في كل هذا؟
جيرو: صبرا، سنصل إلى ذلك. هلا تابعت يا أخ
إيساك؟ انزل إلى الفقرة المعنونة «إزالة
المساكن المخالفة».

إيساك: (يتعكر سيماءه غضبا): هه؟ هه؟ ها!
ماثيو: ماذا هناك؟ ماذا هناك؟
إيساك: أوباش! إنهم يسموننا أوباشا!
جيرو: اقرأ بصوت مسموع يا أخ إيساك.
إيساك: «من المؤسف أن الشاطئ في الوقت الحالي
يزحمة عرافون من كل الأصناف، ممن
يخدعون المواطنين ويجعلون الشاطئ منفرا
للناس المحترمين، ويأتي في مقدمة هؤلاء من
يسمون أنفسهم... آه! ألا فليصعقهم غضب
يهوه على أفواههم الآثمة.

جيرو: (مستعيدا الملف): الوقت قصير يا إخوان،
ولا مجال للحساسيات الزائدة. (يقرأ)
«... ممن يسمون أنفسهم عرافين
ومبشرين. وهؤلاء لا يكفي إخلاؤهم، بل
يجب اتخاذ خطوات من شأنها أن تضمن
عدم استطاعتهم العودة في أي وقت إلى
استاد الإعدام».

شـادـرـش:

جـيـرو:

النار والكبريت! سادوم وعمورة!

صبرا صبرا، أيها الإخوة. «إلا أنه من المقترح،
وحيث إن الهدف من الإعدامات العلنية هو تربية
الشعب أخلاقيا والارتقاء به روحيا، أن يصدر
ترخيص لجماعة دينية محترمة بالعمل على
شاطئ باربيتش وتقوم مثل هذه الجماعة بإجراء
الصلاة قبل كل إعدام وبعده، ثم الإشراف حسب
المناسبة على إجراء الشعائر الأخيرة لمن تم
إعدامهم وبالمقابل يحصل أعضاء الجماعة على
موقع متميز يتيح لهم إلقاء المواعظ في الجمهور
حول شرور الجريمة والعبر المستقاة من نهاية
الجناة المروعة، والتي ستتلوها موسيقى دينية
تعزفها الفرقة النحاسية الخاصة بهم».

إيسـاك:

جـيـرو:

شـادـرـش:

فرقة نحاسية، هذا يعني.

نعم، جيش الخلاص.

كفى. لقد سمعنا كل ما نحتاج لمعرفته عن
المؤامرة التي تحاك ضدنا. والسؤال الآن هو
ماذا نحن فاعلون لإحباطها؟

جـيـرو:

ننظم أنفسنا ونتوحد. الأخ ماثيو على حق،
فالمرضى بحاجة إلى العلاج، يجب ألا نتخلى
عن المظلومين وهم في أشد درجات الحاجة.

شـادـرـش:

(ينظر نحو كالب وأنانايس): نحن نتوقع
مشاكل في الاجتماع مع بعض زملاء المهنة.

جـيـرو: كل المشاكل يمكن حلها، فالرهان كبير يا أخ شادرش.

شـادرش: والثمن كبير أيضا.

أنـانـايـس: اخرس أيها المنافق الأبله.

شـادرش: أنانايـس!

جـيـرو: هدوء، هدوء أيها الإخوة. عليك أن تكون أكثر أدبا يا أنانايـس.

أنـانـايـس: لك هذا قبل أن تطلبه يا أخ جيرو، الرأي رأيك.

مـاثـيو: ما الذي يرمي إليه جيروهم بالضبط؟ لم تكن لتدعونا إلى اجتماع ما لم تكن في ذهنك فكرة ما.

جـيـرو: عين الصواب يا أخ ماثيو. لقد أعددت بعض خطط العمل، بل وبدأت بتنفيذها، فالحق أن الوقت قصير، وقد داهمتنا الأحداث. وصار شاطئ باربيتش هو حلبة الإعدام الوحيدة، ومسرح الموت في الأمة بأسرها! وفي الوقت الذي يعد جمهورنا بالآلاف، فالاستاد المقترح سوف يستوعب مئات الآلاف. يجب أن نحصل على حق الاحتكار الروحي لهذه الرعاية التي ستقع في قبضتنا.

كـالـب: اسمع اسمع.

إيـسـاك: (بنفاد صبر): نعم، ولكن كيف؟

جـيرو:

نشكل جماعة واحدة موحدة ونكتسب صورة جديدة، ونتيح لقوى الأمر الواقع أن ترى نفسها معكوسة فيها، معكوسة ومكملة. سوف نتبأ بصوت واحد. لا بأصوات ودية متفرقة تصرخ في البرية. بل بصوت الوحي الموحد الناطق باسم المهنة الروحية.

كـالب:

أسلمت لك الأمر يا أخ جيرو. ما كنت لأصوغ عباراتي بأفضل مما فعلت، هذا وأنا أفخر بأنني مثقف.

مـاثيو:

أي صورة إذن؟

جـيرو:

أن نجعل مظهرنا الخارجي مطابقا لمظهرهم.

كـالب:

تقصد أن نكشفهم على حقيقتهم (ينفجر ضاحكا إلى أن يستولي عليه السعال حتى يكاد يختنق).

جـيرو:

أظن يا أخ كالب أن تعليقك هذا خال من الذوق.

مـاثيو:

(بانفعال شديد): وخطير، خطير جدا. أنا أرفض أن أبقي دقيقة أخرى إذا سمح بمثل هذه التعليقات، فلسنا هنا للبحث عن المتاعب. أنا أربأ بنفسى عن هذا التعليق.

إيسـاك:

أما تزال قلقا على كفالتك يا أخ ماثيو؟

كـالب:

(يميل إليه والسكر ظاهر عليه): هل صحيح

أن القاضي كان يعزف الموسيقى في كنيستك؟

جيرو: يا إخوان، يا إخوان، ليس هذا وقت الخصومات الشخصية التافهة. ينبغي ألا نحسد الأخ ماثيو على نفوذه الروحي في... بعض الأوساط الرفيعة المقام، فيما نحن على أعتاب إدخال عليّة القوم وأقواهم تحت وصايتنا الروحية.

شادرش: هل أصابتك أحلام اليقظة؟ بعد يوم أو يومين لن تجد سقفا فوق رأسك، وأنت تتحدث عن...

جيرو: نعم يا أخ شادرش، أؤكد لك أن عليّة القوم وأقواهم سيخضعون لوصايتنا الروحية.

شادرش: لقد نفخ النجاح رأسك.

كالب: ولهذا لديه مخططات كبيرة (ينفجر ضاحكا بمفرده)

جيرو: ماذا لو قلت لك يا شادرش أنه قد تناهى إلى مسامع الحكام أن جماعة دينية حديثة التكوين قد تنبأت للنظام بطول العمر؟ وأن هذه الجماعة الغامضة قد أعلنت أن الرب شديد السرور بمحاولات النظام الرائعة في قمع السطو المسلح، ورفض حق الاستئناف، وزيادة معدل الإعدام، والتخفف من جزئيات القانون السخيفة، والإسراع في المحاكمات، وأن كل هذه الأمور قد أسعدت الرب إلى حد أنه أنعم على النظام بالحياة الأبدية.

شادرش:

لن يصدقوك.

جيرو:

لقد صدقوني وانتهى الأمر. لقد غرست
البذرة فحسن زرعها وامتدت جذورها. غدا
سيقترح المجلس البلدي جماعة دينية للمسرح
الجديد، وسيبلغ مجلس الوزراء أنها هي
الجماعة نفسها صاحبة النبوءة وسيتم إقرار
احتكارنا الجديد دون مناقشة. هل هناك من
يشك فيما أقول؟

شادرش:

إن ثالث شادرش مادرس أبیدنغو الرسولي
يضم عشرين ألف عضو في كل أنحاء البلاد،
وفيهم أناس من كل المهن، بمن فيهم عسكريون
من رتب عالية جدا، ولذا فنحن نقترح أن يضم
ثالثا الرسولي كل الجماعات الأخرى إلى
حضنه الروحي.

جيرو:

(يقابل اقتراحه بصيحات احتجاج فورية)
لا يا أخ شادرش. هذه الفكرة كما ترى، وبكل
بساطة لن تنفع. هل من اقتراحات أخرى؟
(يهزون أكتافهم جميعا)

إيساك:

حسنًا يا جيرو، إلينا باقتراحك.

جيرو:

جميعكم يعرف الأخ شومة، أو بالأحرى
العراف شومة.

ماثيو:

هذا الذي طار عقله.

أنانيس:

يبدو أعقل منك ومني، على الأقل أنظف.

جيرو:

لقد ترك العراف شومة صفوف الأعداء ورهن
مصيره بنا، واعتمادا على مساعدته وعلى المعرفة
العميقة التي جمعها حول آلية عمل تلك المنظمة
الأجنبية التي كان ينتمي إليها يوما ما، فسوف نعيد
تشكيل أنفسنا وفق الصورة المنشودة. سوف نعلن
جوهرا الروحي الموحد وفق صورة حكام البلاد
ومظهرهم، ولا بد أنكم توافقونني أن في هذا غاية
الاحترام (ينهض) أخت ربيكا، أخرجي الراية.

ريبيكا:

(تركض خارجة ومعها الراية وهي متوردة
من الحماسة): هل جاءت اللحظة المرتقبة يا
أخ جيرو؟

جيرو:

لقد جاءت اللحظة يا أخت ربيكا. اشهدوا
الآن مولد الكنيسة الأولى لجيش الخلاص
الرسولي الإلهي.

(شومة يبدأ بعزف أغنية «هل غسلتك دماء
الحمل». وتغني ربيكا بحيوية وهي غافلة عن
العالم)

انظروا إلى جماعة الرب الجديدة. إلى
الأمم، إلى المعركة أيها الإخوة.

إيساك:

ضد من؟

جيرو:

بالضبط.

شادرش:

(باحترار): بالضبط ماذا؟ يسألك ضد من،

فتجيبه بالضبط؟

جـيـرو: بالضبط، ضد من؟ لا نعرف عن ذلك أكثر
ممن يمثلون قدوتنا الدنيوية. إنهم ينتظرون
معجزة، وسوف نقدمها لهم.

شـادـرـش: (مشيرا إلى شومة): بالمخبولين من أمثاله؟
أتحسب أنك ستبني إمبراطورية؟

جـيـرو: سأبني امبراطورية روحية يا أخ شادرش.
ومن ليس معنا فهو علينا، هذا هو جيش
الخلاص مع الفرق، مع الفلفل والبهارات، مع
الشطة. صحيح يا أخ شومة؟

(يومئ شومة برأسه بحماس دون أن يوقف
الموسيقى)

إيسـاك: هيه، لم تقل من سيكون قائد الجيش.

كـالـب: نقطة مهمة، مهمة جدا.

جـيـرو: ندخل متساوين ونشكل اتحادا.

شـادـرـش: الكل بحاجة إلى رئيس.

كـالـب: (بوقار): الشيخ شادرش عميبييق (فواق).

جـيـرو: رئيس فخري يصدر الأوامر ويكون عينا

ساهرة على صندوق الكنيسة، رئيس رمزي
تماما.

إيسـاك: نعم ولكن من؟ من في رأيك سيكون النقيب؟

جـيـرو: نقيب يا أخ إيساك؟ لا لا، نقيب لا يكفي:

يجب ألا نقلل من قدرنا في عيون الناس. لواء
على الأقل.

إيساك:

ومن سيكون صاحب هذه الرتبة، لم تقل بعد.

جيرو:

من في يديه أسرار المجلس السياحي، من يستطيع أن يضمن أن الجماعة الجديدة سوف تحصل على ترشيح المجلس السياحي.

أنانيس:

كنت أعرف ذلك، كنت أعرف أنه يحتفظ بشيء لنفسه.

إيساك:

لقد فكرت بكل شيء، أليس كذلك؟

جيرو:

يمكنك أن تقول إن الله ألهمني يا أخ إيساك.

شادرش:

وأنت فيما نظن تمتلك الأسرار الأنفة الذكر؟

جيرو:

هل نحن جماعة موحدة أم لا؟

أنانيس:

بحق يسوع! تلك الجيوب الممتلئة التي تقول

انشلني، فيما أصحابها يضحكون من الشيطان

المسكين على منصة الإعدام. إنها لخطيئة أن

يفيب المرء عن جنة عدن هذه. (يلقي التحية

لجيرو) حضرة اللواء، جاهز للخدمة يا سيدي.

جيرو:

(يرد التحية): اذهب إلى الغرفة أيها الرائد،

وابحث عن بدلة تلائمك.

إيساك:

رجال أعمال من أصحاب الملايين، مذنبون

أغنياء يحضرون للاستمتاع والفرجة على ما

يجري من استعراضات للإعدام على باربيتش.

جيرو:

من غيره يريد الانضمام إلى جيش الرب؟

إيساك:

إنها سادوم وعمورة، الحليب حامض

والعسل مر.

جيرو:

من ينحاز إلى جيش الرب؟

إيساك:

ما الرتبة التي تفكر في منحها لي؟

جيرو:

عقيد (مشيرا)، في الداخل ستجد بدلة ملائمة.

(بينما يدخل إيساك يعود أنايس وهو يفني بحيوية ويعزف على دف. لباسه يشبه بدلة جيش الخلاص، عدا القبعة التي تشكل اللمسة «الأصيلة» والمصنوعة من مواد محلية وفق أسلوب أبدجاجا. إنه مزيج مضحك).

ماثيو:

(يلقي نظرة أخرى على صورة حناء بضة من السابحات، ويقرر): كنت أعزف المزمар قليلا يا أخ جي... أعني أيها اللواء جيرويم. حتى أنني كنت مرة في فرقة المدرسة.

جيرو:

ستجد بدلة هناك أيها النقيب.

شادرش:

لن تغيركم البدلات، مهما لبستم ستظلون أوباش شاطئ باربيتش كما أنتم. لا أحد سيعطيكم احتكارا.

كالب:

أخطأت من كل النواحي يا أخ شاد، فالناس مظاهر، والمرء يعرف من لباسه.

جيرو:

قريبا جدا ستغلق الجمعية، والرتب تقتصر على الأعضاء المؤسسين. نحن نستمد سلطتنا من نعمة الله الأبدية. اشترك الآن، وإلا فاذهب.

شادرس: أيها الجشع! نحن نعرف أمثالك يا جيرو. هيا تابعوه، عدوا الدجاج قبل أن يفقس البيض.

كالب: أخطأت ثانية يا شاد. يبدو أنك لا تعرف قدر جيرو، إذا قال إنه سيحصل على الاحتكار فسيحصل عليه. رجل دقيق ومنظم، من النوع الذي يعجبني.

جيرو: أي رتبة تريد يا كالب؟
كالب: سأتمسك برتبة عقيد. قد أكون على شيء

من ال.... (فواق) ترى ما أعنيه، ولكنني أعرف الصالح من الطالح. أنا رجل متعلم، وهذه بضاعة نادرة في هذه المهنة، هذا طبعاً عدا السامع، أيها اللواء. مقدم.

جيرو: أيها اللواء، أظن أنه بدلاً من الاكتفاء بإلقاء المواعظ على الجمهور فإننا نستطيع تمثيل بعض المسرحيات الدينية الأخلاقية، يعني مثل تمثيليات عيد الفصح وعيد الميلاد. أنا أعجبك في أشياء من هذا النوع: عواقب الخطيئة، نهاية المجرمين الرهيبة... إلخ. يعني... آ... هذا النوع من المهام المتخصصة يستحق رتبة أعلى، أليس كذلك، سيدي الجنرال (Mon General)؟^(٨)

جيرو: (بحزم): مقدم.

كالب: (يحييه والسكر باد عليه): فليكن، Mon
. General

إلى الداخل فيما يخرج الآخرون في لباس
(عسكري)

جيرو: أنت وحيد يا شادرش.

شادرش: لسنا وحيدين أبدا. سنتوجه في هذه اللحظة
إلى رئيس المجلس السياحي، حيث سنضع حدا
لطموحاتكم، فالسيدة الفاضلة خالة رئيس
المجلس البلدي واحدة من أخلص رعييتنا.

جيرو: (ينظر في ساعته): إذا كنت ترغب في رؤية
المسؤول الإداري التنفيذي شخصيا، فسوف يصل
بعد عدة دقائق. لقد دعي إلى هذا الاجتماع.
هنا؟

شادرش:

جيرو: سوف يفاوض باسم الجانب الآخر.

شادرش: كذب! المسؤول الوحيد الذي سترونه هو
مسؤول الإخلاء.

أنانيس: (يتطلع إلى الخارج): سيدي اللواء، العدو
في الخارج.

جيرو: دعه يمر بسلام.

أنانيس: ماذا يريدون؟ من حسن حظكم أن اللواء
أعطاكم الأمان.

المسؤول: كيف واثتكم الجرأة على دعوتي إلى هنا في
هذا الوقت من الليل؟ (يسد أذنيه).

هلا أخبرتهم أن يوقفوا هذه الضوضاء
الجنونية؟

جيرو:

عقيد شومة.

أنانيس:

لن يسمعك. سأتولى أنا إيقافه.

(يتجه إليه ويحييه ثم ينزع البوق من فمه)

جيرو:

اجلس.

المسؤول:

أنا أطلب.

جيرو:

أجلسه أيها الرائد.

أنانيس:

بكل سرور يا سيدي اللواء.

(يجبر المسؤول على الجلوس على كرسي

فيسار كاتب اللجنة بالجلوس على الفور).

جيرو:

أستأذنك لبعض الوقت بينما استعد

للمفاوضات.

(يلتقط الملف عن الطاولة بحركات

محسوبة، فيحرق المسؤول في الملف مذهولا.

يتبادل النظرات مع الموظف الذي يخفض

بصره يذهب جيرو إلى الغرفة).

شادرش:

أظن أننا في حضرة مسؤول الإخلاء

الرئيسي في المجلس البلدي.

الكاتب:

لا، أنت تعني م أ ر ٢، أما هذا فهو م أ ر ١،

المسؤول الإداري الرئيسي. أما م أ ر ٣ فلم يعين

بعد، وذلك هو مسؤول الإعدام الرئيسي،

منصب جديد.

المسؤول: (يستدير ليتفحص شادرش كأنه حشرة غريبة): ومن تكون أنت؟

شادرش: قائد جماعة شادرش مادرش أبيدنفو الرسولية، التي تضم عشرين ألفا. المسؤول (بتبرم): متطرف آخر.

المسؤول: كلنا أمل أنكم جئتم إلى هنا لتضعوا حدا لمخططات هذا الجشع المتاجر بالدين الذي يسمى نفسه...

المسؤول: بحق يسوع! (يدخل جيرو وعليه حلة بهية من لباس جيش الخلاص، فيستقبله شومة بتحية حادة النغمة).

جيرو: الملف يا أخت ربييكا. المسؤول: والآن أمل أنك سوف...

جيرو: أنا واثق أنك جئت وحيدا كما طلبت. المسؤول: نعم، لقد خاطرت بحياتي بكل حماقة وجئت دون حماية إلى وكر الإجرام هذا.

جيرو: هذا في مصلحتك تماما. المسؤول: هكذا قلت أنت. والآن هل تتفضل وتخبرني ما هي مصلحتي؟

جيرو: إنها من النوع الذي ينبغي ألا يسمعه رجال الشرطة، ولهذا نصحتك بالحضور دون مرافقك.

المسؤول: ادخل في الموضوع.

جيرو:

(يجلس وهو يربت على شعره المجعد بعناية): لا بد أنك تتذكر أنه حين اضطر مسؤول الإخلاء الرئيسي، ونتيجة لأساليب الإقناع الروحية العنيفة التي استخدمتها العقيد ريبكا...

المسؤول:

العقيد من؟

جيرو:

العقيد ريبكا من كتبة أبناء السماء الإلهية، واختصارا كاسا. هل تعلم أن كاسا تعني بيتا؟^(٩) بيتا روحيا في حالتنا هذه. أنا واثق أن صورتنا الجديدة ستعجبك.

(تدخل ريبكا حاملة الملف، وهي الآن في بدلة عسكرية)

المسؤول:

صورتكم لا تهمني في شيء.

جيرو:

وماذا عن صورتك أنت يا حضرة المسؤول؟

(يناوله ورقتين من الملف)

ألا ما أعظم الرب وما أبعد حكمته! لقد ساق مسؤول الإخلاء إلى بابي في صحبة من اختارها للخلاص، فأغرقته بفيض عارم من القداسة، اضطر معه إلى الفرار وترك وثائقه في ملكية امرأة تملكها الله.

المسؤول:

ماذا تريد؟ قل لي ماذا تريد بالضبط؟

جيرو:

الاحتكار هو موضوع ملفكم أب. ب/ ٧٢١/٥٣٧. صالونات تجميل، مقام، محلات،

سوبر ماركت، أكشاك، مثلجات وملاهي. بناء وإيجار أكواخ على الشاطئ، معدات تسلية، متاجر عملاقة، مطاعم، آلات قمار، عربات ملاهي، دوارات ومرافق لإيواء السيارات: كل ذلك من أجل المسرح الوطني المقرر بناؤه على بار بيتش. والقائمة لا نهاية لها يا حضرة المسؤول، إلا أن ما يهم الرب الكريم الذي أمثل مصالحه هو أسلوب منح هذه العقود الوفيرة.

المسؤول:

لا حاجة لرفع صوتك (ينظر حوله بعصبية) قل لي ماذا تريد بالضبط.

جيرو:

أعط ما لقيصر لقيصر وما لله لله.

المسؤول:

وما معنى ذلك بلغة قيصر الصريحة؟

جيرو:

احتكار على الحياة الروحية.

المسؤول:

وما معنى هذا؟

جيرو:

يمنح لكاسا

شادريش:

نحن من جانبنا واثقون بأن استقامتك لن

تسمح لك بالموافقة على طلبات من هذا النوع.

المسؤول:

هل هناك من يخبرني من هذا الرجل؟

جيرو:

لقد تلطفت الأخت ربيكا فأعدت الخطاب

وهي تقول إنه لا يحتاج إلا إلى توقيعك.

المسؤول:

(يأخذ الخطاب وهو غير مصدق): أهذا كل

شيء؟ مجرد احتكار لحقوق عقد اجتماعات

دينية هنا؟

جيرو:

هذا يكفي.

المسؤول:

ولا حتى احتكار مشروع تجاري من نوع ما؟

جيرو:

لقد دخلنا ميدان المشاريع بالفعل. وبالطبع
فنحن نتوقع منك أن تعلن أن الأراضي التي
تشغلها الآن مختلف الجماعات الدينية، سوف
يوكل أمر إداراتها وتطويرها إلى الجماعة
التي أقرت حديثا ممثلة للجماعات الرسولية
كلها: كاسا.

المسؤول:

ماذا؟

شادريش:

سيادة المسؤول الإداري...

المسؤول:

وما علاقة هذا باحتكار الحياة الروحية؟

جيرو:

إذا كان للحياة الروحية أن تمتد جذورها،
فلا بد لها من أرض تمتد فيها هذه الجذور.

المسؤول:

نعم، نعم، طبعاً، أنا... آ... أدرك ما ترمي إليه.

جيرو:

كما أن صورتنا موالية على كل الأصعدة.
لسنا متعصبين، فشعارنا هو الدم، الدم الذي
يفصل الخطايا جميعها، الخطايا جميعها يا
سيادة المجلس السياحي.

المسؤول:

نعم، فعلاً. هذه نقطة في صالحك تماماً.

شادريش:

نحن نحتج يا سيدي، نحتج بشدة.

المسؤول:

من هذا الرجل؟

جيرو:

مرتد، دعك منه (يدمد شادريش وقد أعياه
الكلام. يدفع جيرو بورقة إلى المسؤول)،

البيان... إنه لا يقول إلا الحقيقة، فأنت
حاضر في اجتماع الاتحاد الرسولي، كما أنك
تشاهد بنفسك الجماعة الجديدة التي ظهرت
ممثلة للجميع.

شادشرش:

لصوص! أفاقون! مفتصبون! قتلة!

جيرو:

لم ندرج اسمك يا شادشرش.

(يوقع المسؤول فيدفع جيرو بالورقة إلى
الكاتب)

اشهد (ينظر الكاتب إلى المسؤول بتردد)

المسؤول:

وقع هذه الورقة ودعنا نخرج من هنا.

جيرو:

(يناول الورقة لريبكا): هل هذان

توقيعاهما الحقيقيان؟

المسؤول:

(وقد جرحت كرامته): لست من أصحاب

الوجهين، أنا رجل عند كلمتي.

جيرو:

ليس الموضوع موضوع ثقة.

ريبكا:

إنهما توقيعاهما يا سيدي اللواء.

المسؤول:

والآن هل لي بال...

جيرو:

قائمة العقود؟ بقيت ورقة واحدة فقط

بحاجة إلى توقيع، الملحق، أي الخريطة

المساحية التي تحدد أي أقسام من الشاطئ

تعتبر في عهدة كاسا.

المسؤول:

هذا مستحيل، لقد وزعنا بعض الأراضي

التي يشغلها أصحابك...

جيرو:

أرجو أن تعترف لي بشرف القيام بواجبي.
لقد نسيت أن لدينا حليفا عظيما في شخص
العقيد ريبكا، سكرتيرتك المؤتمنة سابقا، لقد
اعتمدنا على هذا الملف الثمين الذي تكرم
مسؤول الإخلاء العامل لديكم بإعارتنا إياه.
ليست هناك نسخ أخرى، افحصه إذا شئت.

المسؤول:

حسننا، حسنا (يهم بالتوقيع).

شادرش:

لا توقع على بيع روحك للشيطان يا سيدي.

المسؤول:

ألا تستطيعون إسكاته؟

جيرو:

أيها الرائد.

أنانيس:

بكل سرور يا سيدي. هيا يا شاد.

(يمسكه من مرفقه مسكة خبير).

شادرش:

نحن نحتج بكل بشدة على هذه المؤامرة
السافرة سوف نتابع هذه القضية على أعلى
المستويات، فقائد جماعة تضم عشرين ألفا
ليس بمن يستخف به أحد. وسوف ترون.

المسؤول:

هل أنت متأكد أنه لن يسبب لنا مشاكل
فيما بعد؟

جيرو:

دعه لنا، فشهادة جيش الخلاص سوف
ترجع على شهادة دجال موتور في أي مكان.
(يأخذ الخريطة ويعيد أوراق الإدانة)
وثائقك يا سيدي. أمل أن تكون أكثر حرصا في
المرّة القادمة.

المسؤول:

(يختطف الأوراق بسرعة ثم يحشرها في جيبه): والآن فلنذهب للتعامل مع هذا الغبي مسؤول الإخلاء.

جيرو:

لا تلق اللوم عليه، فتأثير الروح في النفوس الضالة يتجاوز أشد الأنظمة الوظيفية صرامة.

المسؤول:

لا تعظني أيها الدجال.

جيرو:

بالعكس، سوف نعظك. ففي الساعة الثانية عشرة من كل يوم ثلاثاء، ستقوم كتيبة أبناء السماء الإلهية بإلقاء مواعظها خارج مكتبك، وسيكون موضوع عظاتنا شر الفساد... الروحي، نحن ننوي أن نقتصر على الشؤون الدينية، ولن نخالف الصورة الدنيوية.

(ينفجر الكاتب ضاحكا، ويحدق فيه المسؤول بحقد؛ فتنجمد الضحكة على وجهه)

المسؤول:

عليك الحضور إلى مكتبي غدا في الصباح الباكر، أنت وموظف الإخلاء.

(يندفع خارجا)

أنانيس:

(حين يتردد الكاتب الرئيسي): هيه أنت، الحق بسيدك.

الكاتب:

أيها الأخ... أعني... آ... أيها اللواء، ألا... أعني... هل هناك أي إمكانية... ما أريد أن أقوله هو... حتى رتبة وكيل عريف ستكفيني.

المجد للرب (تتدفق إليه لتضمه)، أظن أن **ريبيكا:**

هناك بدلة تناسب مقاسه تماما يا سيدي اللواء.

كما تشائين يا حضرة العقيد، إذن فليكن **جيرو:**

وكيل عريف.

والآن يا سيدي اللواء؟ **أنانيس:**

لا وقت مثل الوقت الحاضر، فلنخرج في **جيرو:**

مسيرة في هذه اللحظة ونرفع علمنا. أيها الأخ

شومة، اركع لعموديتك الثانية، أو الثالثة، لقد

بدأت أخطئ العد.

(يركع شومة ويمسح جيرو بيده على رأسه):

اركع يا أخ شومة، انهض يا عميد يشوع^(١٠).

(وقد أسقط في يده): أوه، أيها الأخ... **شومة:**

عفوا، أيها اللواء... جيرو أنا لا أستحق هذا...

هراء يا شومة، أنت فخر هذه الرتبة. استعد **جيرو:**

للقتال أيها العميد. سيتولى العميد يشوع

القيادة وهو ينفخ في البوق. أيها الرائد

أنانيس.

سيدي اللواء؟ **أنانيس:**

حين ينفخ يشوع في البوق ستكون مهمتك **جيرو:**

تحقيق المعجزة. يجب أن تتهاوى الجدران وإلا

فعليك تبرير ذلك.

دع الأمر لي أيها اللواء. **أنانيس:**

ما عليك إلا أن تستند على الجدران العفنة **جيرو:**

وسيتكفل الرب بالباقي. وبحلول الفجر لا بد أن يكون الشاطئ قد تم تطهيره من الأكواخ الانفصالية الموبوءة التي تعكر الجو المقدس على جماعة الرب الموحدة. وستبدأ بطبيعة الحال بجحر الفساد، جحر المرتد شادرش، السيف والنار يا أنانيس، السيف والنار، فلتتبرأ ليل الشر بلهيب الإيمان، ولتعدوا الأرض لمهرجان بار بيتش.

أنانيس:

كتيبة السماء الإلهية، استعدا... د إلى الأمام براية الرب (تتخذ ربيكا موقعها) إلى الأمام ببوق الرب (يتخذ شومة موقعه) انفخ في البوق، إلى اليسار، در... إلى المعركة ضد الفساد.

(يعزف شومة بقوة المقطع الأول من أغنية «يشوع قاد معركة أريحا» بإيقاع منتظم، ثم يتحول مبهتجا إلى نغمة محلية سريعة، تخرج الكتيبة على إيقاعها في مسيرة راقصة في الليل. يرد جيرو تحية الكتيبة بأكبر قدر من الترفع، وحين يختفي آخر الرجال، يلقي نظرة أخرى على الصورة في الإطار وينزلها ويسندها بوجهها إلى الجدار، ويخرج من أحد أدراج الطاولة صورة أكبر من سابقتها تمثله في بدلته الحالية، ويعلقها على الجدار، ثم يجلس إلى

الطاولة ويقرب إليه ملفاً أو ملفين، كأنما ليبدأ
العمل. يرفع بصره فجأة وعلى وجهه ابتسامة
الذجال القريب إلى القلب).
وعلى كل حال، فالعادة في هذه الأيام أن
يتولى اللواء القيادة من مكتبه.

عُتمة النهاية

هوامش تحول الأخ جيرو

- ١ تعبير شعبي يشير إلى العادة الجديدة في تنظيم إعدامات عامة في العاصمة النيجيرية لاغوس.
- ٢ يروي العهد القديم أن قابيل (أو قايين) لما سأله الله عن أخيه هابيل، وكان قد قتله، أجابه: «لا أعلم. أحارس أنا لأخي؟» (تكوين: ٤: ١٠).
- ٣ «ولماذا تنظر القذى الذي في عين أخيك. وأما الخشبة التي في عينك فلا تفتن لها. أم كيف تقول لأخيك دعني أخرج القذى من عينك وها الخشبة في عينك. يا مرائي أخرج أولا الخشبة من عينك». (متى: ٧: ٣ - ٥).
- ٤ منظمة مسيحية عالمية ذات أهداف دينية وخيرية، وهي تعمل وفق نظام عسكري حيث يحمل أعضاؤها رتبا عسكرية تتفاوت حسب أهميتهم. أسسها وليم بوث في لندن عام ١٨٦٥.
- ٥ بعض أنواع الموسيقى الشعبية التي انتشرت في غرب أفريقيا ونيجيريا في الستينيات، موسيقى الجوجو أحدث، وقد حلت في شعبيتها محل الهاي لايف (انظر الملاحظة ٣ في محنة الأخ جيرو).
- ٦ قام يعقوب فيما تروي التوراة بخداع أبيه إسحق لينتزع منه البركة التي كانت مقررة لأخيه عيسو باعتباره الولد البكر (تكوين: ٢٧).
- ٧ يقوم جيرو بمحاكاة ساخرة لعملية ترسيم الفرسان، حيث يرتب الملك بالسيف بالتقاوب على كتفي المرشح الراكع أمامه. وتحل عصا الكهانة في هذه الحالة محل السيف.
- ٨ سيدي الجنرال. بالفرنسية بالأصل، فكالب «رجل مثقف».
- ٩ في الإسبانية، كما في «كازابلانكا» الدار البيضاء.
- ١٠ كان يشوع بن نون حسب العهد القديم خادماً موسى الذي اختاره الله بعد وفاة سيده ليزعم بني إسرائيل، وقد قادهم في حصار أريحا، حيث «هتف الشعب وضربوا بالأبواق... فسقط السور من مكانه وصعد الشعب إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة» (يشوع: ٦: ٢٠).

المراجع في سطور

- نسيم مجلي إبراهيم
- من مواليد عام ١٩٣٤، مصري الجنسية.
- حاصل على ليسانس الآداب في اللغة الإنجليزية من جامعة القاهرة ١٩٦٠، ودبلوم الدراسات العليا في النقد والأدب المسرحي من أكاديمية الفنون ١٩٧٠.
- له عدة مقالات ودراسات نقدية منشورة في الجلات المصرية والعربية، مثل: المسرح - روز اليوسف - إبداع - أدب ونقد - أفاق عربية - قضايا عربية.
- ترجم العديد من الكتب، منها: «بريخت» تأليف: رونالد جراي - «الحب عند الفرنسيين» دراسة للتاريخ الاجتماعي والثقافي الفرنسي تأليف: نينا ايتون - القضية (مسرحية قومية) - الجنونة (كوميديا اجتماعية) - المسرح وقضايا الحرية - أمل دنقل (دراسة نقدية).
- نشرت له سلسلة «من المسرح العالمي» ترجمة لمسرحية «الأسد والجوهر» تأليف: وول سوينكا.

المترجم في سطور

- طارق عبدالرحمن شما
- سوري الجنسية
- من مواليد اللاذقية عام ١٩٧١
- حاصل على الماجستير في الترجمة والأدب المقارن من جامعة بنفمونتون في نيويورك - الولايات المتحدة الأمريكية، ويحضر الدكتوراه حالياً في نفس الجامعة.
- له عدة مشاركات في الصحف، كما أن له عدة قصص قصيرة منشورة في الدوريات السورية.

مسرحيتان من الأدب النيجيري

١- محنة الأخ جيرو - ٢- تحول الأخ جيرو

يسعد سلسلة «إبداعات عالمية» أن تقدم لقارئها في هذا العدد مسرحيتين من الأدب الأفريقي ومن نيجيريا تحديداً، للكاتب وول سوينكا.

وتروي المسرحيتان، بأسلوب كوميدي ساخر، قصة جيرو بم العراف المزعوم، وصعوده من دجال محلي صغير يكسب رزقه من الاتجار بالدين واستغلال جهل البسطاء حتى أصبح أحد الأبواق الدعائية للنظام العسكري الذي يستولي على حكم البلاد. وقد كان الإطار الزماني والمكاني للمسرحيتين هو نيجيريا في الستينيات.

تتناول المسرحيتان قضايا الفساد الإداري والتخلف الاجتماعي اللذين كانا متفشين في نيجيريا وبلدان العالم الثالث آنذاك، إضافة إلى هشاشة الأنظمة السياسية وغربتها عن واقع الشعب أو قمعها لمظاهر الحياة السياسية.

وجيرو بم بطل المسرحية المعروف بالعراف (جيرو)، ليس إلا نموذجاً غير نادر أبداً للانتهازي الذي يبيع نفسه لمن يدفع الثمن، ولو كان ذلك على حساب تكريس الفقر والتخلف لدى غيره من المواطنين، إذ يتمكن هذا الكاهن الزائف، بكل دهاء، من التأقلم مع التقلبات السياسية المتلاحقة في البلاد، وكيف مبادئه الدينية ليصبح جزءاً من النظام الحاكم أياً كان نوعه، فيحتال في المسرحية الأولى على أحد رجال البرلمان، مستفيداً من سذاجته وطمعه في الحصول على منصب وزاري بأي ثمن كان، وفي المسرحية الثانية يستغل حاجة النظام العسكري إلى سند شعبي ليقدّم نفسه غطاءً دعائياً تبريراً لسياساته.